

إِسْرَائِيلُ وَالتَّائِمُونَ

دراسة تحليلية

بقلم

إبراهيم خليل أحمد

الناشر

مكتبة الوحي العربي

لصاحبها، رءوف عثمان

تليفون ٩١٩٩٦٥

١٩٦٧

تقديم

أخي المواطن ١١

اليوم ونحن نقف وجهاً لوجه أمام الصهيونية والاستعمار الجديد لنزيل عن أرضنا آثار عدوانهما الغاشم مستخدمين في هذا السبيل كل طاقاتنا وجهودنا ، فقد رأيت أن أتقدم إلى قراء العربية جميعاً بهذا الكتاب ، الذي جعلت موضوعه « إسرائيل والتلهود » .

وقد اخترت هذا الموضوع لأسباب كثيرة أعتقد أنها ستوضح أمامك وأنت تقرأ الكتاب ، وتتابع ما يكشفه لك من مخازي الصهيونيين ومساوئهم .

ولست هناك حجة في الرد على الصهاينة أقوى من التوراة كتابهم المقدس ، برغم أنهم تناولوها بالتحريف والتبديل ، واستبدلوا بها التلهود كتاباً مقدساً يتبعون تعاليمه ، ويسيرون على هديه .

ولقد عاش اليهود خلال الأزمنة المتطاولة حرباً على الإنسانية والخير وكل ماهو أصيل وسام في النفس البشرية ، ومن أجل ذلك لعنهم الكتب السماوية ولفظتهم الأمم التي عاشوا بين ظهرانها ، ولم يستطيعوا أن ينالوا محبة شعب أو ثقة أمة من الأمم ... لعنهم القرآن الكريم وصور أخلاقهم بقوله : « لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون . ولو كانوا

يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون ، (١) .

وبنحهم المسيح عليه السلام بقوله : « لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقايدكم . . يا مرايون حسناً تلبأ عنكم إشعياء قائلاً : يقترب إلى هذا الشعب بقمه ويكرمني بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً ، وباطلاً يعبدونني وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس ، (٢) .

وإذا كانت الصهيونية تزعم بأن أرض فلسطين قد أقطعهم الله إياها فإن التوراة تكذب هذا الزعم وتدحضه ، وعلينا أن نتدارس مزاعم الصهيونية في أنهم شعب الله المختار ..

وفي أن الله قد ورثهم أرض فلسطين ..

وفي الحقائق التي وردت في التوراة كتابهم المقدس عن العهد الذي قطعه الله على نفسه لإبراهيم ..

وعن الميراث وشرطية الميراث ..

ثم عن خيانة العهد والجزاء الآوفي .

وأخيراً عمن يكون له الميراث بعد أن رفض الله شعبه .

* * *

يستند اليهود في مزاعمهم التي يزعمون إلى ما ورد في التوراة :

« أقيم عهدي بيني وبينك ، وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً
لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك ، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض

(١) المائدة : ٧٨ — ٨١ .

(٢) متى : ١٥ : ٣ ، ٧ — ٩ .

غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون إلههم ، (١) ، « قطع الرب مع ابرام ميثاقاً قائلاً : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات ، (٢) .

لقد أخذ الله هذا العهد على نفسه في وقت كان فيه إبراهيم عقيماً وزوجته ساراي عاقراً ، ولم يعطه فيها ميراثاً ولا وطيأة قدم ، ولكن وعد أن يعطيها ملكاً له ولنسله من بعده ، ولم يكن له بعد ولد ، (٣) .

وأرادت زوجته أن ترث الأرض : « فقالت ساراي لابرام : هوذا الرب قد أمسكني عن الولادة . ادخل على جاري لي لعل أرزق منها بنين . فسمع ابرام لقول ساراي ، فأخذت ساراي امرأة ابرام هاجر المصرية جاريته وأعطتها لابرام رجلها زوجة له ، فدخل على هاجر فحملت . . . وولدت هاجر لابرام ابناً . ودعا ابرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل ، (٤) .

ومن هذا يتضح أن الميراث لنسل إبراهيم وأن سارة قد حققت إرادة العلي القدير في الوارث بموافقتها على تزويجها هاجر لإبراهيم رجلها ، ومع هذا فقد جعل الله للميراث شرطاً وهو الكمال أمام الله : « وظهر الرب لابرام وقال له : أنا الله القدير . سر أمانى وكن كاملاً ، (٥) ، « وقال الله لإبراهيم : وأما أنت فتحفظ عهدي . أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم ، (٦) .

(٢) تكوين ١٥ : ١٨ .

(١) تكوين ١٧ : ٧ - ٨ .

(٤) تكوين ١٦ : ٢ - ٤ ، ١٥ .

(٣) أعمال الرسل ٧ : ٥ .

(٦) تكوين ١٧ : ٩ .

(٥) تكوين ١٧ : ١ .

ولكن بنى إسرائيل مع ما حققه الله تعالى من معجزات على يدي موسى كلمته ويشوع بن نون خليفة موسى تعبدوا وصايا الله وخالفوا أنبياءه ، فجلت عليهم اللعنة وضربت عليهم الذلة والمسكنة . نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، لم يصغوا لوصية ولم يسمعوا لتحذير . ومن قبل حذرهم موسى قائلاً : « وإن نسيت الرب إلهك وذهبت وراء آلهة أخرى وعبدتها وسجدت لها أشهد عليكم اليوم أنكم تبيدون لاجل أنكم لم تسمعوا لقول يبيدهم الرب من أمامكم كذلك تبيدون لاجل أنكم لم تسمعوا لقول الرب إلهكم ، (١) .

وتلاحقهم غضبة الله أينما كانوا : « والباقون منكم ألقى الجبانة في قلوبهم في أراضى أعدائهم فيهمزهم صوت ورقة مندفعة فيهربون كالهرب من السيف ويسقطون وليس طارد . ويعثر بعضهم ببعض كما من أمام السيف وليس طارد . ولا يكون لكم قيام أمام أعدائكم ، (٢) .

وأخيراً لمن الميراث ؟

تنبأ المسيح عليه السلام بلبي يأتي من بعده به تختم النبوة ويسند إليه الميراث ، فقال : « أما قرأتم قط في السكتب : الحجر الذي رفضه البنائون هو قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا . لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لامة تعمل أثماره ، (٣) .

وهذه النبوة تأكيد لما حلم به من قبل نبوخذ نصر ملك بابل من أن حجراً ضرب التمثال فسحقه وصار الحجر جبلاً كبيراً وملاً الأرض كلها ، وقد عبّر دانيال النبي هذا الحلم بقوله : « وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات ملكاً لن تنقرض أبداً وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفتى كل

(١) تثنية ٨ : ١٩ - ٢٠ .

(٢) اللاويون ٢٦ : ٣٦ - ٣٨ .

(٣) متى ٢١ : ٤٢ - ٤٣ .

هذه الممالك وهى تثبت إلى الأبد لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا يبدن ، فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب . الله العظيم قد عرف الملك ماسياقي بعد هذا . الحلم حق وتعبيره يقين ، (١) .

ويحدد المسيح عليه السلام شخص النبي الموعود بالنبوة والكتاب والملك ، فيقول : « وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية » (٢) .

ومن هنا فطن بنو إسرائيل إلى أن الله فى غضبته عليهم قد انتزع منهم الملك وخلعه على أمة محمد صلى الله عليه وسلم . وبهذا رفضهم جل شأنه وتجلى على نسل إسماعيل الذى تنكرت له سارة قائلة لإبراهيم : « اطرده هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحق » (٣) . لقد أدركوا أن النبوة قد خرجت عنهم نهائياً وخلعت على من تلبأ به موسى ، وأكده عيسى من بعده : « أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به . ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامي الذى يتكلم به باسمي أنا أطلبه » (٤) . ولهذا كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون أنه الحق ، حقداً وعناداً ، ولجوا فى باطلهم وعداوتهم للإسلام حتى دمغهم الله تعالى بقوله : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .

* * *

وبعد أيها القارئ ، فإنى أقدم إليك كتابى هذا لا كشف لك عن حقيقة الصهيونية من أين استمدت تعاليمها وتقاليدها ، وأسس مزاعمها التى تزعمها فى الأرض المقدسة . . ولتعلم من ثنايا هذا الكتاب : من هم بنو

(٢) يوحنا ١٦ : ١٢ - ١٣ .

(١) دانيال ٢ : ٤٤ - ٤٥ .

(٤) تثنية ١٨ : ١٨ - ١٩ .

(٣) تكوين ٢١ : ١٠ .

إسرائيل في حقيقتهم ، وما مدى استمساكهم بكتابهم المقدس وسوء تأويلهم
لما به وتحريفهم الكلم عن مواضعه ، واتخاذهم كتاباً آخر مقدساً هو التلمود ،
وضعه أحبارهم وعلماؤهم بعد قرون من وفاة موسى عليه السلام ، وانحرفوا
به عن كل فضيلة وكل دعوة حق دعا إليها دين من الأديان .. وقدموا هذا
الكتاب على التوراة كتابهم الأول . وسترى في النماذج التي نقدمها إليك
من التلمود روح العنصرية والحقد والضغينة على البشرية التي يدفعهم إليها
كتابهم هذا ، والذي أخلصوا لتعاليمه الشريرة الإخلاص كله .. فعاشوا
حياتهم مبغضين مكروهين من أمم الأرض جميعاً .

والكتاب من جانب آخر يكشف عن الخطة التي تتبعها الصهيئة من
أجل السيطرة على مقدرات العالم ، وعن دورهم في تحطيم القيم الإنسانية
والأخلاقية وزرع الفتن والثورات أينما حلوا ..

وإذا كنا نجتاز اليوم ظروفاً غير عادية ، فإن السيل الأول للنصر
أن نعرف عدونا حق المعرفة ، لنستطيع أن ندفع شره ، وأن نلحق به
الهزيمة الساحقة في كل ميدان .

وهذا الكتاب يسهم في تعريف أبناء الأمة العربية بعدوهم ، وهو
خطوة على الطريق من أجل تحقيق وعد الله جل شأنه : « وكان حقاً علينا
نصر المؤمنين » .

إبراهيم خليل أحمد

القاهرة في ٢ أكتوبر ١٩٦٧

سابقاً

القس إبراهيم خليل فيلبس

راعي الكنيسة الإنجيلية

وأستاذ العقائد واللاهوت بكلية اللاهوت بأسبوط

الباب الأول

منشأ التامود

« وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن
في الأرض مرتين ولتعانن علواً كبيراً .
(الإسراء : ٤)
« ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم
مؤمنين » . (آل عمران : ١٣٩)

الفترة من سنة ١٣٥ إلى سنة ٥٦٥

عاش في الشرق الأوسط شعب عجيب احتفظ بطابعه وثقافته الخاصة بالرغم مما مر به من الشدائد . يستوحى كيانه وجوده من دينه الخاص ، ويعيش بهدى شريعته ومبادئه الأخلاقية ، وظهر فيه شعراء وعلماء وأدباء وفلاسفة . والعجيب في هذا الشعب أنه تمكن من الإخصاب الفكري بين عالمين متناقضين : عالم استعماري وعالم نام .

ولم تكن فتنة بار كوييه Par Cocbeha سنة ١٣٢ - ١٣٥ م آخر ما بذله اليهود ليستعيدوا حريتهم التي قضى عليها بمباى ، وتيطس سنة ٧٠ م ، وهادريان سنة ١٣٥ م ، فقد أعادوا الكرة لاستعادة حريتهم واستقلالهم في عهد أنطونيوس بيوس Antonius Pius سنة ١٦١ م فأخفقوا في محاولتهم ، وحرّم عليهم أن يدخلوا المدينة المقدسة إلا في يوم تلك الذكرى المؤلمة : ذكرى تدميرها . فقد كان يسمح لهم نظير جعل معين ، أن يأتوا ويندبوا ويبكوا أمام جدران الهيكل المهدم .

وكان سكان فلسطين التي خرب من مدنها في فتنة بار كوييه Par Cocbeha ٩٨٥ مدينة وقرية ، وقتل من أهلها ٥٨٠.٠٠٠ رجل وامرأة حتى كادت البلاد تجمى من الوجود ، ونقص السكان إلى النصف ، وانحط الباقون إلى درجة من الفاقة كادت أن تقضى على الحياة الثقافية .

وفي هذا الخراب الذي حل بيني إسرائيل وتدمير أورشلیم تحقيق لنبوء سيدنا عيسى عليه السلام القائلة : « يا أورشلیم ! يا أورشلیم ! يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين ! لهما لكم مرة أردت أن أجمع أولادك كما نجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا ! هو ذا بيدتكم يترك لكم خرابا ! » . (١)

وتحقيقاً لنبوء إرميا القائلة : « ويعبر أمم كثيرة في هذه المدينة ويقولون الواحد لصاحبه : لماذا فعل الرب مثل هذا لهذه المدينة العظيمة ؟ فيقولون : من أجل أنهم تركوا عهد الرب إلههم وسجدوا لآلهة أخرى وعبدوها ، (١) .

ويحلل إرميا شخصيتهم بقوله : « ها أنكم متكلمون على كلام الكذب الذى لا ينفع . أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذبا وتنجرون للبل وتسيرون وراء آلهة أخرى لم تعرفوها ثم تأتون وتقفون أمامى فى هذا البيت الذى دعى باسمى عليه وتقولون قد أنقذنا . حتى تعملوا كل هذه الرجاسات هل صار هذا البيت الذى دعى باسمى عليه مغارة لصوص فى أعينكم ، (٢) .

ويؤكد المسيح عليه السلام شخصية بنى إسرائيل المنحرفة بإقراره : « ودخل يسوع إلى هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل ، وقلب موائد الصيارفة وكراسى باعة الحمام . وقال لهم : مكتوب يتى بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص ، (٣) .

ولم يكذب على فتنه باركوبيه جيل واحد حتى تمكن اليهود من إنشاء المجلس اليهودى القومى فى مدينة طبرية وقوامه واحد وسبعون من العلماء والأخبار المشرعين ، إلا أن نهضة اليهود هذه انتكست يوم أن اعتنق الإمبراطور قسطنطين المسيحية ديناً وجعلها الدين الرسمى ومن ثم اضطهد اليهودية واليهود وفرض عليهم قيوداً ومطالب جديدة وأغلق عليهم

(١) إرميا ٢٢ : ٨ — ٩ .

(٢) إرميا ٧ : ٨ — ١١ .

(٣) إنجيل متى ٢١ : ١٢ — ١٣ .

في مجتمعهم بما يعرف ، بالجيتو ، ، وفي سنة ٣٣٧ م أصدر قانوناً بمعاقبة اليهودى الذى يجرؤ على الزواج من مسيحية بالإعدام (١) ، كما نفي أحبارهم في أنحاء الإمبراطورية (٢) .

وفرض جالوس Gallus أخو قسطنطين على اليهود من الضرائب الفادحة ما اضطر الكثيرين منهم إلى أن يبيعوا أبناءهم وبناتهم ليوفوا بمطالبه .

وثار اليهود مرة أخرى في سنة ٣٥٢ م . وأخذت ثورتهم ودكت صفورة Sapphoris (٣) دكا ، وخربت أجزاء من طبرية وغيرها من المدن ، وقتل آلاف من اليهود ، واستبعد آلاف آخرون نفياً وتشريداً ، وبلغت حال اليهودى الفلسطينى سنة ٣٥٩ م درجة من الانحطاط أرغمت الحاخام هلم الثانى أن ينزل عما كان ليهود فلسطين من الحق في أن يحددوا لجميع اليهود في أنحاء الأرض تواريخ أعيادهم ، وأصدر لهم تقويماً يحددون هم بمقتضاه تواريخ هذه الأعياد مستقلين عن يهود فلسطين ، ولا يزال هذا التقويم الذى أصدره الحاخام هلم الثانى معمولاً به إلى اليوم لدى اليهود في جميع أنحاء العالم .

اليهود يعيدون بناء أورشليم

قال الله تعالى في سورة الإسراء : « وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً . فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً

Baron, S. Social and Religions History of the Jews. (١)
Vol. I, p. 266 — Graetz, H. History of the Jews. Vol. II, P. 566 .

Abott G.F. Esraelin Egypt. P. 43.

(٢)

(٣) صفورة قرية على بحيرة طبرية في فلسطين .

مفعولاً . ثم رددنا لكم الكثرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها (١) .

ولما ارتقى جوليان Julian عرش الإمبراطورية أنقذ اليهود إلى أجل قصير من هذا التعذيب فقد خفض هذا الإمبراطور الضرائب المفروضة عليهم ، وألغى القوانين التي تجعلهم أقل منزلة من غيرهم ، واعترف بأن « يهوه » إله العبرانيين إله عظيم . وصرح لهم بإعادة بناء هيكل أورشليم من مال الدولة (٢) ، لممارسة عبادتهم وتقديم الذبائح والقرابين زلفى إلى « يهوه » ، وأعاد فتح أورشليم لليهود ، فهرعوا إليها من جميع أنحاء فلسطين ومن كل ولاية في الإمبراطورية .

وسخر الرجال والنساء والأطفال جهودهم لإقامة البناء ، وتبرعوا بحليهم وما ادخروه من أموالهم لتأثيث الهيكل الجديد (٣) ، وفي وسعنا أن نتصور سرور القوم الذين ظلوا مائتي عام يدعون ربهم أن يمن عليهم بهذا اليوم من سنة ٣٦١ م .

الفترة من ١٣٥ إلى ٣٦١

ويصف سينيوزا اليهودى - وهو من أكبر فلاسفة التاريخ - الروح القومية اليهودية بقوله : « لم يكن حب اليهود لوطنهم حباً بسيطاً بل كان أشبه بالورع . فهذا الورع - مع مرافقه من الاحتقار للشعوب الأخرى - كان ينمو يوماً فيوماً مع ممارسة اليهود لديانتهم حتى أصبح متأصلاً في نفوسهم » .

والواقع أن الطاقة الروحانية والقومية اليهودية غمرت حياة ذلك الشعب

(١) الإسراء : ٤ - ٧ .

Julian; Works. Vol. III, P. 51 .

(٢)

Abott. G.F. Esrael in Igypt. P. 45.

(٣)

قتشبت بها روح أبنائه . فكانوا يعدون أنفسهم بمنازلة على سائر الناس ولم يرضوا قط أن يمتزجوا بغيرهم من الأمم . فهم مازالوا يلحون في طلب الأفراد في مجتمع « الجيتو » ، حتى منحتهم الطبيعة ما أرادوا وفصلتهم عن جسم البشرية . ومهما يكن من أمر فأين المفر من إرادة الله التي دمعهم بالذلة :

« ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباموا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، (١) .

وسرعان ما تبددت نشوتهم ، فبينما كانوا يحفرون الأرض لوضع الأساس إذ خرج من باطنها لهب أحرق عددا من العمال والمهندسين القائمين بالعمل (٢) ، غير أن اليهود عادوا إلى العمل من جديد ، فعادت هذه الظاهرة مرة أخرى - ولعل سبب هذه الظاهرة هو انفجار بعض الغازات الطبيعية - وكان لالتهاجا ما أوقف العمل وبالتالي ثبطت همة القائمين بالمشروع .

وفرح المسيحيون بهذه الظاهرة ، إذ بدا لهم أن الله غير راض عن إعادة بناء الهيكل ، وعجب اليهود من هذا وحزنوا له . ثم مات الإمبراطور جوليان فجأة ، فخبست عنهم أموال الدولة ، وسنت من جديد القوانين المقيدة لهم ، وجعلت أشد صرامة مما كانت عليه من قبل ، وحرّم على اليهود مرة أخرى دخول أورشليم ، فعادوا إلى منفاهم وفقدهم ثم إلى صلواتهم .

وكتب جيروم بعد قليل من ذلك الوقت يقول : إن أهل فلسطين اليهود لا يزيدون على عشر ما كانوا عليه من قبل ، ، تصديقا لما جاء بسفر إشعياء :

(١) آل عمران : ١١٢ .

Ammianus Marcellinis; Works. vol. XXIII, 1.

(٢)

فقلت : إلى متى أيها السيد ؟ فقال : إلى أن تصير المدن خربة بلا ساكن والبيوت بلا إنسان وتخرب الأرض وتقفّر . ويُبعد الرب الإنسان ويكثر الخراب في وسط الأرض . وإن بقي فيها عشر بعد فيعود ويصير للخراب ، (١) .

وفي عام ٤٢٥ م ألغى الإمبراطور ثيوديسيوس الثاني الحاخامية الفلسطينية ، وحلت الكنائس المسيحية اليونانية محل المعابد والمدارس اليهودية ، وتخلّت فلسطين بعد فترة قصيرة في عام ٦١٤ م عن زعامة العالم اليهودي .

ونتيجة لما أصاب اليهود من اضطهاد عنيف من مسيحي الإمبراطورية الرومانية يمّموا وجوههم نحو الشرق إلى أرض النهرين وإلى بلاد الفرس حيث وجدوا تعضيداً من العنصر اليهودي البابلي الذي لم ينعدم من تلك البلاد منذ الأسر البابلي الذي حدث في عام ٥٩٧ ق . م . وكانت وظائف الدولة محرمة على اليهود في بلاد الفرس أيضاً . ولكن هذه الوظائف كانت محرمة كذلك على جميع الفرس ماعدا طبقة الأشراف ولذلك لم يكن هذا الحرمان ثقيلاً عليهم (٢) .

اليهود ينتشرون في الأرض

قال هرتزل مؤسس الصهيونية : « من السخافة أن ننكر وجود مشكلة يهودية ، فإنها موجودة حيثما توجد جماعة من اليهود . وإذا لم توجد لا يلبث أن يحملها إليها المهاجرون . إننا نهاجر إلى الجهات التي لا تضطهد فيها ، ولكن ظهورنا فيها يحمل على اضطهادنا ، » .

(١) Jerome, Commentary on Isarael, VI, II-13. Baron Vol. I, 261.

Baron, I, 255.

(٢)

والواقع أنها غضبة الله حلت بهذا الشعب ، وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (١) .

وظل اليهود في أثناء ذلك ينتشرون في جميع البلاد الواقعة حول البحر المتوسط . فمنهم من ذهب لينضم إلى الجاليات اليهودية في بلاد الشام ، والبحر المتوسط ، ومنهم من ذهب إلى القسطنطينية رغم عدا أباطرة الروم وبطارقهم ، ومنهم من انجحوا من فلسطين جنوباً إلى جزيرة العرب وعاشوا في سلام وحرية دينية مع بني جلدتهم الساميين ، واحتلوا في تلك البلاد أقاليم برمتها مثل خيبر . وكان عددهم في يثرب « المدينة المنورة » ، يكاد يكون مساوياً لعدد العرب أنفسهم ، واستمالوا إلى دينهم عدداً من الأهلين وهبشوا عقول العرب لما جاء به الإسلام من عقائد يتفق بعضها مع العقائد اليهودية ومن هؤلاء ورقة بن نوفل عم السيدة خديجة رضى الله عنها زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنهم « بحيرى الراهب » . ومنهم من عبروا البحر الأحمر إلى بلاد الحبشة حيث تضاعف عددهم بسرعة حتى قيل لأنهم بلغوا في عام ٣١٥ نصف سكان تلك البلاد (٢) .

وكان اليهود يمتلكون نصف سفن الإسكندرية ، وكان ثراؤهم في تلك المدينة السريعة التأثر والاهتياج سبباً من أسباب ازدياد حدة العدا الدينية لهم .

وكان في أسبانيا جاليات يهودية قبل يوليوس قيصر ، ونمت تلك الجاليات دون أن يتعرض لها بأذى تحت حكم الأباطرة الوثنيين ، وأثروا في عهد القوط الغربيين الآريين ، ولكنهم سرعان ما تعرضوا للاضطهاد الموثس

(١) البقرة : ٦١ .

(٢) Friedländer, L. Roman Life and manners under the Early Empire. III, 173.

بعد أن اعتنق الملك ريكارد (٥٥٦ - ٦٠١) عقائد مؤتمر نيقية . وأحرق مسيحيو أورليان كنيسة يهوديا حوالى عام ٥٦٠ ، وطلب اليهود من جنثرام Gunthram ملك الفرنجة أن يعيد بناءه من أموال الدولة أسوة بما فعله ثيودريك فى مثل هذه الحالة من قبل . ولما رفض جنثرام هذا الطلب صاح الأسقف جريجورى التورى Gregory of Tours : « ما أعظمك أيها الملك وما أعجب حكمتك ١١ ، (١) » .

ولكن اليهود بالرغم مما يقع عليهم من اضطهاد سرعان ما ينمون وينتفشون فى البلاد التى كانوا يهاجرون إليها وسرعان ما كانوا يلبشون مدارسهم بمختلف مستوياتها يضمها فى العادة الكنائس نفسه . وكان العلماء لا يقيمون فى بلد يخلو من المدارس الابتدائية والثانوية .

وكانت لغة العبادة والتعليم هى اللغة العبرانية ، أما لغة التخاطب اليومى العادى فكانت الآرامية فى بلاد الشرق ، واليونانية فى مصر وفى بلاد أوربا الشرقية ، أما فى غير تلك البلاد فكان اليهود يتخاطبون بلغة من يعيشون بينهم من الأهلين .

وكان الدين هو الموضوع الذى يدور حوله التعليم اليهودى ، أما الثقافة غير الدينية فكانت فى ذلك الوقت أن تهمل إهمالا تاما ، ذلك أن اليهود المشتتين لم يكونوا يستطيعون أن يحفظوا كيانهم جسميا وروحيا إلا عن طريق شريعتهم ، وكان الدين عندهم هو دراسة الشريعة والعمل بها ، وكان دين آبائهم يزداد قيمة لديهم كلما ازداد الاضطهاد الدينى عليهم ، وكان التلمود والتوراة الدعامين والملاجئ للذين لاغنى عنهما لشعب حائر تائه مشرد بين شعوب الأرض ، شعب تقوم حياته على الرجاء ، ويقوم رجاؤه على الإيمان بالله .

منشأ التلمود

كان الكتبة ورجال الدين المقيمون في المعابد والمدارس الفلسطينية والبابلية هم الذين ألفوا أسفار الشريعة الضخمة المعروفة بالتلمود الفلسطيني والتلمود البابلي .

وكانوا يقولون إن موسى لم يترك فقط لشعبه شريعة مكتوبة تحتويها الأسفار الخمسة المسماة بالتوراة ، بل ترك أيضا شريعة شفوية تلقاها التلاميذ عن المعلمين جيلا بعد جيل وأضافوا إليها زيادات وتنقيحات .

وكان أهم ما ثار حوله الجدل بين الفريسيين والصدوقيين والفلسطينيين هو :

هل هذه الشريعة الشفوية هي الأخرى من عند الله ؟ فإن كان الأمر كذلك فهي واجبة الطاعة .

ولما أن زالت طبقة الصدوقيين بعد تشتت اليهود عام ٧٠ م خلا الموقف للفريسيين الذين سيطروا على الكيان الروحي لشعب إسرائيل ، وورث رجال الدين تقاليد الفريسيين ورواياتهم . وقبل إيماننا وطاعة جميع اليهود المتمسكين بدينهم الشريعة الشفوية وآمنوا بها وكأنها أوامر من عند الله وأضافوها إلى أسفار موسى الخمسة ، فتكونت من هذه وتلك التوراة والتلمود ، أو الشريعة الموسوية التي استمسك بها اليهود وعاشوا بمقتضاها .

وفي هذا يقول المسيح عليه السلام : « يقترب إلى هذا الشعب بفمه .

ويكرمنى بشفتيه ، وأما قلبه فببتعد عنى بعيداً ، وباطلا يعبدوننى وهم يعلمون
تعاليم هى وصايا الناس .

وكانت الشريعة الموسوية وهى التوراة والتلمود بالنسبة لإسرائيل
حقيقة لا مجازا هى كيانهم ، وقوام حياتهم .

إن القصة التى تروى تلك العملية الطويلة التى استغرقت ألف عام ،
تجمعت فى خلالها الشريعة الشفوية ، واتخذت فيها صورتها النهائية
المعروفة بالمشنا ، والقرون الثمانية التى تجمعت فيها ثمار الجدل والأحكام ،
والإيضاح فكانت هى الجمارتين أو شروح المشنا ، وبانضمام المشنا إلى أقصر
الجمارتين يتألف منهما التلمود الفلسطينى ، وإلى أطولها يتألف منهما التلمود
البابلى — إن القصة التى تروى هذه الأحداث الثلاثة لمن أكثر القصص تعقيداً
وأعظماً إثارة للدهشة فى تاريخ العقل البشرى .

وكما كانت التوراة أدب العبرانيين الأقدمين ودينهم ، كان التلمود حياة
يهود العصور الوسطى ودينهم ودماءهم .

وذلك أن أحكام الشريعة الواردة فى الأسفار الخمسة أحكام مسطورة ،
ولهذا فإنها لم تكن تستطيع الوفاء بجميع حاجات أورشليم بعد أن فقدت

حريتها ، ولا اليهودية بعد أن فقدت أورشليم حريتها ، ولا الشعب اليهودى
فى خارج فلسطين . لم تستطع الوفاء بحاجات هذه أو معالجة الظروف المحيطة
بها . ومن ثم كانت مهمة علماء السنهدرين قبل التشتت ، والأخبار بعد التشتت
هى تفسير الشريعة الموسوية تفسيراً يهتدى به الجيل الجديد والبيئة الجديدة
ويفيدان منه .

وتوارث المعلمون جيلاً بعد جيل تفاسير هؤلاء العلماء ومناقشاتهم ،
وآراء الأقلية والأغلبية فى موضوعاتها .

على أن هذه الروايات الشفوية لم تدون ، ولعل سبب عدم تدوينها أن هؤلاء العلماء أرادوا أن يجعلوها مرنة قابلة للتعديل ، أو لعلهم أرادوا بذلك أن يرغموا الأجيال التالية على استظهارها .

فكان في وسع الأحبار الذين أخذوا على أنفسهم تفسير الشريعة ، إذا اضطرتهم الظروف ، أن يستعينوا بمن قدروا على استظهارها . وكان الأحبار في الستة القرون الأولى بعد ميلاد المسيح يسمون « التنايم Tannaim » ، أى . معلمى الشريعة ، ، وإذا كانوا هم وحدهم المتضلعين فيها فقد كانوا هم المعلمين والقضاة بين يهود فلسطين بعد تدمير الهيكل .

تحليل شخصية الأحبار

كان أحبار فلسطين ، وأحبار بابل طبقة أرستقراطية فذة لأمثل لها في التاريخ . ذلك أن هؤلاء الأحبار لم يكونوا طبقة وراثية أو مغلقة مقصورة على طائفة خاصة من الناس ، كما كانت من قبل . فإن وظيفة الأحبار والكهنة حسب شريعة موسى قصرت على سبط لاوى فحسب ، بل أصبحت هذه الوظيفة بعد ميلاد المسيح وتدمير أورشليم حقا مباحا لكل يهودى ، ووجد فقراء اليهود طريقهم إلى الكهنوت ، وسرعان ما ارتقوا فى مناصبه . وقد كان معظمهم يكسبون قوتهم بالعمل فى الصناعات المختلفة حتى بعد أن أصبحوا من ذوى الشهرة العالمية . وظلوا إلى ما يقرب من أخريات تلك الفترة التى نتحدث عنها لا يعطون أجورا على قيامهم بالتدريس أو بأعمال القضاء .

وكان الأثرياء من اليهود يجعلونهم فى بعض الأحيان شركاء غير عاملين فى مشروعاتهم المالية أو التجارية . أو يؤوونهم فى بيوتهم ، أو يزوجونهم من بناتهم ، ليوفروا عليهم عناء الكد لكسب قوتهم .

ومن هؤلاء الأخبار من أفسدهم ما كان لهم من المنزلة الرفيعة بين أبناء جلدتهم ودينهم . ومنهم من كانوا كسائر الخلق يفضيئون ، ويفارون ، ويحقدون ، ويسرفون في النقد ، ويتكبرون ، ومنهم من كان لابد لهم أن يذكروا أنفسهم المرة بعد المرة أن العالم بحق رجل متواضع ، لأن الحكيم يرى الجزء في ضوء الكل ، إن لم يكن لغير ذلك من الأسباب .

وكان الناس يحبونهم لفضائلهم ولعيوبهم ، ويعجبون بهم لعلمهم وتقواهم ويروون ألف قصة وقصة تنبئ عن حكمتهم ومعجزاتهم . وما زال اليهود إلى أيامنا هذه يحلون طلاب العلم والعلماء كما لا يحلهم شعب آخر في العالم كله .

كتابة التلمود

ولما كثرت قرارات الأخبار وتضاعفت أصبحت مهمة استظهارها شاقة غير معقولة . ولذلك حاول هلال ، وعقيبا Akiba ، ومائير Meir مراراً عدة أن يصنفوها ويستعينوا على استظهارها ببعض الأساليب والرموز ، ولكن هذه التصانيف والرموز والحيل لم يحظ شيء منها بالقبول من جمهرة اليهود .

وكانت نتيجة هذا أن أصبح الاضطراب في نقل الشريعة كلها عن ظهر القلب مروعا . وكان ما زاد الطين بلة أن تشتت اليهود قد عمل على تفرق هذه القلة من حفظة الشريعة في أقطار نائية .

وحوالى عام ١٨٩ م تابع الحبر يهوذا هنسيا Jehuda Hanasi في قرية صبورة بفلسطين عمل عقيبا Akiba ومائير Meir ، وعدله ، وأعاد ترتيب الشريعة الشفوية بأكملها ثم دونها وزاد عليها إضافات من عنده . فكانت هي مشننا (١) الحبر يهوذا .

(١) المشنا : المتن ، المجارة : الشروح .

المشنا + المجارة = التلمود : شريعة اليهود الشفوية .
التوراة : شريعة اليهود المكتوبة .

وترى أقلية من العلماء أن يهوذا لم يدون مشناه ، بل إنها أخذت تنتقل شفويا من جيل إلى جيل حتى القرن الثامن الميلادى . ومن شاء معرفة رأى الأغلبية فليرجع إلى كتاب ج . ف . مور المسمى « اليهودية فى القرون الأولى من التاريخ المسيحى » ، G. F. moore; Judaism in the First Centuries of the Christian Era. طبعة جامعة كمبردج بولاية مسشوسستس عام ١٩٣٢ المجلد الأول ص ١٥١ .

كذلك كتاب و . ا . أوسترلى المسمى « نظرة قصيرة فى الآداب

الدينية اليهودية فى العصور الوسطى » ، W.O. Oesterley & G. H. Box Short Survey of the Literature of Rabbinicals and mediæval Judaism. London, 1920, P. 83.

وانشرت هذه بين اليهود انتشاراً أصبحت معه بعد زمن ما هى المشنا المعتمدة لشريعة اليهود الشفوية . والمشنا « أى التعاليم الشفوية » ، كما نعرفها اليوم هى الصورة النهائية لطبقات مختلفة كثيرة ، وقد أدخلت عليها حواش متعددة من أيام يهوذا إلى الآن .

ولكنها مع هذا خلاصة مدججة محكمة ، وضعت لى تحفظ عن ظهر القلب بكثرة التكرار . ولهذا فإن من يقبل على قراءتها يرى أن عبارتها المحكمة الجامعة الغامضة تعذب قارئها بما تبعته فى نفسه من الآمال الكاذبة الخادعة ، اللهم إلا إذا كان القارئ ملماً بحياة اليهود وتاريخهم .

وقد قبلها يهود بابل وأوربا كما قبلها يهود فلسطين ولكن كل مدرسة فسرت أمثالها وحكمها تفسيراً يخالف ما فسره الأخرى . وقد اشتركت ستة

أجيال (١) (١٠ - ٢٢٠) من الأحبار المعروفين بالتنايم Tannaim (٢) في صياغة المشنا كما اشتركت سنة أجيال (٢٢٠ - ٤٣٠) من الأحبار المعروفين بالأمورائيم Amora'im (٣) في طائفتين ضخمتين من شروح المشنا وهما الجمارة الفلسطينية والجمارة البابلية وبذلك أخذ المعلون الجدد في تلقين التوراة وهم يدعون بالسبورائيم (٤) .

ومن هذه الطبقات الثلاث طبقة التنايم ، والأمورائيم ، والسبورائيم يتكون المجتمع الرباني اليهودي . وتداول التنايم الجدد والسبورائيم الجدد مشنا يهوذا فتناقشوا في المتن وحلوه وفسروه ، وعدلوه ، ووضحوه ، لكي يطبقوه على المشاكل الجديدة ، وعلى ظروف الزمان والمكان .

ولما قارب القرن الرابع الميلادي الانتهاء نسقت مدارس فلسطين شروحها وصاغها في الصورة المعروفة بالجمارة الفلسطينية .

وفي سنة ٣٩٧ م شرع رب آسى Rab Ashi رئيس جامعة سورا Sura College في تقنين الجمارة البابلية وظل يواصل العمل في ذلك التقنين جيلا من الزمان . وفي سنة ٤٩٧ م استأنف ريينا بار شمويل وهو أيضاً من جامعة سورا مابدأه رب آسى وانتهى من عمله سنة ٤٩٩ . وإذا ذكرنا أن الجمارة البابلية أطول من المشنا إحدى عشرة مرة ، بدأنا نعرف لم استغرق جمعها مائة عام كاملة .

وظل الأحبار السبورائيم « المناطقية » مائة وخمسين سنة (٥٠٠ - ٦٥٠) يراجعون هذه الشروح الضخمة ويصقلون التلود البابلي الصقل الأخير .

(١) الجيل : ٣٥٠ سنة .

(٢) التنايم Tannaim : معلوم الشريعة .

(٣) الأمورائيم Amora'im : الشراح .

(٤) السبورائيم : المناطقية .

التلمود — المشنا — الجمارة — الهلكا — الهجدة

ولفظ التلمود يعنى التعليم أو الشريعة الشفوية ، ولم يكن الأموراء الشراح ، يطلقون هذا اللفظ إلا على المشنا . أما الآن فأصبح التلمود يعنى المشنا والجمارة معا ، والمشنا أى المتن فى التلمود البابلى هى بعينها مشنا التلمود الفلسطينى ، ولا يختلف التلمودان إلا فى الجمارة أو الشروح ، فهى فى التلمود البابلى أربعة أمثالها فى التلمود الفلسطينى (١)

ولغة الجمارة البابلية ولغة الجمارة الفلسطينية هى اللغة الآرامية . أما لغة المشنا بالإيجاز ، فهى تعبر عن القانون الواحد بقليل من السطور ، أما الجمارتان البابلية والفلسطينية فتتبع سلطان عن قصد وتعمد . وتذكر أن ياسهاب مختلف آراء كبار الأخبار عن نصوص المشنا وتضيفان الظروف التى قد تتطلب تعديل القانون ، وتضيفان كثيراً من الإيضاحات . ومعظم

(١) يشتمل التلمود البابلى على ٢٩٤٧ ورقة من القطع الكبير ، وتنقسم المشنا إلى ستة سدريمات Sedarim « ست فصول » وينقسم كل سدريم إلى عدد من المسكتات Masechtoth « المقالات » يبلغ مجموعها ثلاثاً وستين مسكته ، وتنقسم كل مسكته إلى عدد من البرقيات Perakim « الفصول » وكل برقيم إلى مشنيوتات Mishnayoth « تعاليم » — وتشتمل الطبقات الحديثة من التلمود عادة على : شروح راشي Rashi (١٠٤٠ — ١١٠٥) وهذه تظهر على الهامش الداخلى لصفحات المتن ، وتوسافوتات Tosaphoths « إضافات » وهى مناقشات فى التلمود للأخبار القرنين والألمان من رجال القرنين الثانى عشر والثالث عشر وهذه تظهر على الهامش الخارجى لصفحات المتن .

وتضيف عدة طبقات إلى هذه وتلك توسفتات Tosefta « تكملات » وهى بقايا من الشريعة الشفوية التى تخلو منها مشنا يهوذا هنسيا Jehuda Hanasi وأيضاً إضافات من المدرس Medrash « التفسير » وهى خطب ألقاها التنايم Tannaim أو الأموراء Amoraim ولكنها جمعت ودونت خلال الفترة المحصورة بين القرنين الرابع والثانى عشر تشرح فى أسلوب شعبى سهل كتباً مختلفة من الكتب العبرية المقدسة .

Reference to the Mishna Will be by tractate, chapter, and Section, to the Babylonian Gemara by tractate and folio sheet.

(م — ٣ إسرائيل والتلمود)

المشنا نصوص قانونية وقرارات « هلكا ، Halacha أما الجمارتان فبعضهما « هلكا » إعادة نص قانون أو بحثه وبعضهما هجدة Haggadi « قصص » ، وأكثر ماتسجله الهجدة هو القصص والأمثلة الإيضاحية ، وأجزاء من السير والتاريخ ، والطب ، والفلك ، والتنجيم ، والسحر ، والتصوف ، والحث على الفضيلة والعمل بالشرعية . وكثيراً ماتروح الهجدة عن نفس طلاب العلم بعد جدل معقد متعب .

الشرعية

يقول رجال الدين اليهودي إن واجب الإنسان أن يدرس الشرعية مسطورة وشفوية ، ومن حكمهم المأثورة في هذا المعنى قولهم إن دراسة التوراة أجل قدراً من بناء الهيكل ، وإن من واجب الإنسان وهو منهمك في دراسة الشرعية أن يقول لنفسه كل يوم : « كأن في هذا اليوم قد تلقيناها من طور سيناء » . وليست الدراسات الأخرى بعد ذلك واجبة .

فالفلسفة اليونانية والعلوم الدنيوية لاتصح دراستها إلا في تلك الساعات التي ليست ليلاً ولا نهراً . ويعتقد اليهود أن كل كلمة من كتابهم التوراة من كلمات الله بالمعنى الحرفي لهذه العبارة .

وحتى سفر نشيد الإنشاد نفسه إن هو إلا ترنيمة موحى بها من عند الله لتصور بصورة مجازية اقتران يهوه بإسرائيل عروسه المختارة . ومن سفر نشيد الإنشاد نقتطف : « ليقبلني بقبلات فمه لأن حبك أطيب من الخمر... في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي طلبته فما وجدته... قد خلعت ثوبي فكيف ألبسه ؟ قد غسلت رجلي فكيف أو سخمها ؟ حبيبي مد يده من الكوة فأنت عليه أحشائي .. » (١) .

(١) سفر نشيد الإنشاد ١ : ٢ و ١ : ٣ و ٣ : ٥ - ٤ .

« ليتك كأخ لى الراضع ثدى أُمى فأجذك فى الخارج وأقبلك
ولا يخزوني . وأقودك وأدخل بك بيت أُمى وهى تعلنى فأسقيك من الخمر
الممزوجة من سلاف رمانى . شماله تحت رأسى ويمينه تعانقنى ، (١) .

« اجعلنى كخاتم على قلبك ، كخاتم هلى ساعدك ؛ لأن المحبة قوية
كالموت . الغيرة قاسية كالهواية ، طيبها لهيب نار لظى الرب . مياه كثيرة
لا تستطيع أن تطفىء المحبة والسيول لا تغمرها . إن أعطى الإنسان كل
ثروة بيته بدل المحبة تحتقر احتقاراً ، (٢) .

وإن الشريعة قد وجدت لاستتباب النظام ووحدة الكون وفى انعدامها
حتماً انتشار الفوضى الأخلاقية . ومن هنا فإن الشريعة قد وجدت لاحتالة
قبل أن يخلق العالم ، فى صدر الله وعقله (٣) ، وكان إنزالها على موسى
مجرد حادث من حوادث الزمان . والتلمود أو بعبارة أدق جزؤه الذى
يبحث فى الشريعة الشفوية المتضمنة « الهلكا ، والهجدة » هو أيضاً كلمات
الله الأزلية وهو صياغة للقوانين التى أرحاها الله إلى موسى شفويًا ثم عليها
موسى لخلفائه ، ولهذا فإن ما فيها من أوامر ونواه واجبة الطاعة تستوى
فى هذا مع كل ماجاء فى التوراة (٤) .

(١) نشيد الإنشاد ٨ : ١ — ٣ .

(٢) نشيد الإنشاد ٨ : ٦ — ٧ .

(٣) قارن بذلك ما يعتقده الصينيون الأقدمون من أن حركة العالم وبقائه إنما يعتمدان
على القانون الأخلاقى — وتشبيهه هرقليطس صور الكواكب السيارة بالذنوب ، وأفكار
أفلاطون النموذجية الأصلية المقدسة صدى لما جاء بسفر الأمثال : « الرب قنأى أول طريقه من
قبل أعماله منذ القدم : منذ الأزل مسحت منذ البدء منذ أوائل الأرض » .
أمثال ٨ : ٢٢ — ٢٣ . والإسلام يعتقد صدقاً وبقيناً بأزلية القرآن الكريم .

(٤) لم يقر أى مجمع يهودى رسمى هذا الرأى التلمودى الخاص بالتلمود ، هذا بالإضافة إلى
أن اليهودية الحديثة بعد إصلاحها ترفضه .

ومن أحبار اليهود من يجعلون المشنا مرجعا أقوى حجة من الكتاب المقدس ، لأنها صورة من الشريعة معدلة جاءت متأخرة عنها ، وكانت بعض قرارات الأحبار تتعارض تعارضا صريحا مع قوانين أسفار موسى الخمسة ، أو تفسرها تفسيراً يبيح مخالفتها . وكان يهود ألمانيا وفرنسا في العصور الوسطى يدرسون التلمود أكثر مما يدرسون التوراة نفسها .

ومن المبادئ البديهية في التلمود ، كما أن من المبادئ البديهية في التوراة ، وجود إله عاقل قادر على كل شيء . وقد وجد بين اليهود من حين إلى حين عدد من المتشككين أمثال : الإشع بن أيوبا ، العالم الذي اتخذ الكوهن مائير صديقا له ، ولكن يبدو أن أولئك المتشككين كانوا أقلية صغيرة لا تكاد تجهر بأرائها .

والله كما يصفه التلمود إله متصف صراحة بصفات البشر ، فهو يحب ويغض ويغضب ويضحك ويبكي ويشعر بوخز الضمير ، ويلبس التمام ، ويجلس على عرش يحيط به طائفة من الملائكة المختلفين الدرجات يقومون على خدمته ، ويدرس التوراة ثلاث مرات في كل يوم .

واليهود لا يفتشون يجهرزون بوحدانية الله في حماسة قوية . وينددون بشرك الوثنية ، وبما يبدو في المسيحية من تثلث .

وهم يجهرزون بهذه الوحدانية في أشهر صلواتهم ، وأكثرها انتشاراً بينهم ألا وهي صلاة « شمع إسرائيل » ، وفخواها : « اسمع يا إسرائيل ! الله إلهنا الله واحد » ، وليس ثمة مكان بجواره في هيكله أو في عبادته لمسيح أو نبي أو قديس .

النهى عن ذكر لفظ الجلالة ، الله ، :

وقد نهى أحبار اليهود الناس عن ذكر اسم « الله » ، إلا في أحوال نادرة . ويقصدون بذلك أن يحولوا بينهم وبين تدنيسه ، أو اتخاذه وسيلة

للسحر . ولكي يتجنبوا النطق بهذا الاسم الرباعي «يهوه» كانوا يذكرون بدلا منه لفظ «أدوناي» أى الرب ، بل ويشيرون بأن يستعمل بدلا منه عبارات مثل «الواحد المقدس» أو «الواحد الرحمن» أو «السموات» أو «أبانا الذى فى السموات» .

وفى اعتقادهم أن الله قادر على صنع المعجزات ، وأنه يصنعها فعلا ، وخاصة على أيدي كبار الأحرار ، ولكن يجب ألا يظن أن هذه المعجزات خرق لقوانين الطبيعة إذ ليس ثمة قوانين إلا إرادة الله .

ولقد رأوا معجزات على يد موسى : « ومد موسى يده على البحر . فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء . فدخل بنو إسرائيل فى وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم » (١) .

وفى عهد يشوع خليفة موسى عليه السلام طلب أن تقف الشمس : « حينئذ كلم يشوع الرب . . وقال أمام عيون إسرائيل : يا شمس دومي على جبعون ويا قمر على وادى أيلون . فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه . . فوقت الشمس فى كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل » (٢) .

وفى عهد موسى نطقت أتان : « فلما أبصرت الأتان ملاك الرب ربضت تحت بلعام فحى غضب بلعام وضرب الأتان بالقضيب . ففتح الرب فم الأتان فقالت لبلعام : ماذا صنعت بك حتى ضربتنى الآن ثلاث دفعات ؟ . . ثم كشف الرب عن عيني بلعام فأبصر ملاك الرب واقفا فى الطريق وسيفه مسلول فى يده فخر ساجدا على وجهه » (٣) .

(١) خروج ١٤ : ٢١ — ٢٢ . موقع المعجزة مدينة السويس الحالية .

(٢) يشوع ١٠ : ١٢ — ١٤ .

(٣) عدد ٢٢ : ٢٧ — ٣٢ .

وفى عهد إيليا أقام ميتاً من الموت : « وبعد هذه الأمور مرض ابن المرأة صاحبة البيت واشتد مرضه جداً حتى لم تبق فيه نسمة فقالت لإيليا : مالى ولك يا رجل الله . هل جئت إلى لتذكير لثمنى وإماتة ابنى . فقال لها : أعطينى ابنك . وأخذه من حضنها وصعد به إلى العلية التى كان مقبلاً بها وأضجعه على سريريه . وصرخ إلى الرب وقال : أيها الرب إلهى أيضاً إلى الأرملة التى أنا نازل عندها قد أسأت ياماتتك ابنها ؟ ! فتمدد على الولد ثلاث مرات وصرخ إلى الرب وقال : يارب إلهى لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه . فسمع الرب لصوت إيليا ، فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش ، فأخذ إيليا الولد ونزل به من العلية إلى البيت ودفعه لأمه ، وقال لإيليا : انظرى ابنك حى ، فقالت المرأة لإيليا : هذا الوقت علمت أنك رجل الله وأن كلام الرب فى فمك حق ، (١) .

الحياة والشريعة

ليس التلود من التحف الفنية ، ذلك بأن جمع أفكار ألف عام كاملة ووضعها فى مجموعة مترابطة متناسقة عمل لا يقوى عليه حتى مائة حبر من الأحبار الصابرين .

وما من شك فى أن كثيراً من المقالات قد وضعت فى غير موضعها من التلود ، وأن عدداً من الفصول قد وضع فى غير المقالات التى يجب أن يوضع فيها ، وأن موضوعات تبدأ ثم تترك ، ثم تبدأ من جديد على غير قاعدة موضوعية .

وليست كتابة التلود ثمرة تفكير بل هى التفكير نفسه ، فكل الآراء المختلفة قد دونت فيه ، وكثيراً ما تترك النقاط المتعارضة دون أن تحل أو تفسر ، وكأننا قد اجتزنا خمسة عشر قرناً من الزمان كيما ننصت إلى نقاش

أشد المدارس إخلاصا للتلود ، ونستمع إلى آراء وكتابات وتفسيرات
الأخبار عقيبا ، ومائير ، ويهوذا هنسيا ، ورب ، في أثناء جدلهم العنيف .

إذا ذكرنا هذا استطعنا أن نجد هذه الأقوال من جدل وسفسطة
وأقاصيص غير مصدقة وتنجيم وأحاديث عن الجن وعن الشياطين ،
وخرافات ومعجزات وأسرار الأعداد ، وأحلام وحى ، ونقاش لا آخر
له ، تنسج نسيجاً مهلهلاً من الخيالات والأوهام والغرور الذى يعزيمهم ،
ويأسو جراحهم ويخفف من لوغتهم على آمالهم الضائعة . ولا أدل على ذلك
من أسفار الأبوكريفا التى تضمنها الكتاب المقدس منها قصة يهوديت
وتاريخ المكابيين والأسفار المزيده من سفر دانيال وهى قصة
البعل والثنين .

وإذا ما اشمأزت نفوسنا من قسوة هذه القوانين ومن حساسية هذه
النظم وتدخلها فيما لا يصح أن تتدخل فيه ، وما يجازى به من يخرقها أو
يتهاون بها من شدة وبطش ، فإن من واجبنا ألا نحمل هذه المسألة محمل
الجد . ذلك أن اليهود لم يدعوا قط لأن يطيعوا هذه الوصايا كلها بل أن
يسيروا فى سلوكهم الشخصى بمقتضاها . على أن أخبارهم كانوا يغضون
أبصارهم عما يجدونه فى كل صفحتين من كتاباتهم من ثغرات بين نصائحهم
التي تدعو إلى الكمال ، وبين ما فى الطبيعة البشرية من ضعف خفى . وفى
ذلك يقول أحد الأخبار الحذرين : « لو أن إسرائيل قد حرصت الحرص
الواجب على تعشير شبت واحد لجاء ابن داود من فوره » . ولم يكن التلود
كتاب قوانين يطلب إلى اليهود إطاعتها جملة وتفصيلا ، بل كان سجلا
لآراء الأخبار ، جمعه جامعوه ليهتدى به الناس إلى الحياة الصهيونية ، غير
أن قلة من الجماهير غير المثقفة انتقت مختارات من الأوامر جاءت بها
الشريعة كتهراس لسيلهم .

وقيل إن موسى قد جاء متخفياً إلى الحجرة التي يلقى فيها عقيباً دروسه ، حيث جلس في الصف الأخير ودهش من كثرة القوانين التي استنبطها المعلم الكبير من الشريعة الموسوية ، والتي لم يحلم بها كاتبها قط .

ولقد ظل التلمود أربعة عشر قرناً من الزمان أساس التربية اليهودية وجوهرها ، وكان الشاب العبراني ينكب على دراسته سبع ساعات يومياً لمدة سبع سنوات يتلوه ويثبته في ذاكرته بلسانه وعينه ، وكان هو الذي يكون عقولهم ويشكل أخلاقهم بما تفرضه دراساته من نظام دقيق ، وبما يستقر في عقولهم من معرفة ، شأنه في هذا شأن كتابات كنفوشيوس التي كان يستظهرها الصينيون كما يستظهر اليهود التلمود ، ولم تكن طريقة دراسته مقصورة على تلاوته وتكراره ، بل كانت تشمل فوق ذلك مناقشة بين المدرس والتلميذ ، وبين التلميذ والتلميذ ، وتطبيق القوانين القديمة على ما يستجد من الظروف ، وقد أفادت هذه الطريقة حدة في الذهن وتقوية للذاكرة ، وتثبيتاً للمعلومات ميزت اليهودى من غيره في كثير من الميادين التي تتطلب الوضوح ، وتركيز الذهن ، والمثابرة والدقة ، وإن كانت في الوقت نفسه قد عملت على تضيق أفق العقل اليهودى والحد من حريته . ولقد روض التلمود طبيعة اليهودى النائرة المهتاجة وكبح جماح نزعة الفردية ، وبث فيه روح العفة والوفاء لأسرته وعشيرته ، ولربما كان « نير الشريعة » عبئاً ثقيلاً على ذوى العقول السامية الكبيرة ، ولكنه كان السبب في نجاة اليهود بوجه عام

ولقد كان التلمود على حد قول هيني Heine وطناً متنقلاً لليهود يحملونه معهم أينما ساروا . فخيماً وجد اليهود ، حتى وهم جالية واجفة في أرض الغربة ، كان في وسعهم أن يضعوا أنفسهم مرة أخرى في عالمهم « الجيتو » ، وأن يعيشوا مع أنبيائهم وأحبارهم ، وذلك بأن يرووا عقولهم وقلوبهم من فيض هذه الشريعة ، فلا غرابة والحالة هذه إذا عشقوا التلمود وجعلوه

في أيامنا هذه أئمن ما تملكه معابدهم ويوتهم ، واتخذوه ملجأ وسلوى
وملاذاً للروح اليهودية

المرأة في التلمود

إن قوانين التلمود بوجه عام من وضع الأحبار ، وبمعنى آخر من
وضع الرجال ، وهي لذلك تحابي الذكور محاباة بلغ من قوتها أن بعثت في
نفوس أحبار اليهود الفزع من قوة المرأة . وهم يلومونها كما يلومها الآباء
المسيحيون لأنها أطفأت روح العالم بسبب تشوف حواء المنبعث من
ذكاها . وكانوا يرون أن المرأة خفيفة العقل وإن كانوا يقرون بأنها
وهبت حكمة غريزية لا وجود لها في الرجل ، وهم يأسقون أشد الأسف لما
جبلت عليه المرأة من ثثرة ، ويقولون في أساطيرهم : « لقد نزلت على
العالم عشرة مكاييل من الكلام أخذت المرأة منها تسعة ، وأخذ
الرجل واحداً » .

ونددوا بانهما كها في السحر والشعوذة ، وما لإيهما من الفنون الروحية
الخفية ، وفي افتتانها بالأصباغ والكحل ، ولم يكونوا يرون بأساً في أن
ينفق الرجل بسخاء على ملابس زوجته ، ولكنهم يطلبون منها أن تتجمل
لزوجها لا لغيره من الرجال

وفي القضاء على حد قول أحد الأحبار تعدل شهادة مائة امرأة شهادة
رجل واحد . وكانت حقوق النساء الملكية محددة في التلمود بالقدر الذي
كانت محددة به في إنجلترا في القرن الثامن عشر ، فكاسبين وما يثول
إلين من ملك إنما هو حق لأزواجهن ، ومكان المرأة هو البيت . ويقول
أحد الأحبار المتفائلين : إن المرأة في عصر المسيح الثاني « ستلد طفلاً في
كل يوم » ، وإن الرجل الذي له زوجة خبيثة لن يرى وجه جهنم .

الباب الثاني

نماذج من التلمود

« إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات
والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ،
أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون »

(البقرة : ١٥٩)

يبدو أنه بعد أن قربت عقيدة إسرائيل من التوحيد انتكست مرة أخرى انتكاساً كبيراً في العهد الذي ألف الأحبار فيه التلمود وهو القرون الستة الأولى بعد الميلاد .

فأسفار التلمود تظهر إله إسرائيل متصفاً بكثير من صفات الحوادث وصفات النقص .

ويبدو ذلك على الأخص فيما يرويه التلمود عن نشاط الله وأعماله في الليل والنهار ، وعن حالته بعد هدم الهيكل وتشريد بني إسرائيل . فتقرر بعض أسفاره أن الله يقضى الساعات الثلاث الأولى من النهار في مذاكرة الشريعة ، والساعات الثلاث الثانية في تدبير شؤون الحكم بين الناس ، والساعات الثلاث الثالثة في تدبير العيش للخلق ، وأما الساعات الثلاث الأخيرة من النهار فيقضيهما في اللعب مع الحوت ملك الأسماك ، وهو حيوان كبير جداً يتسع حلقه لسمكة طولها ثلثمائة فرسخ بدون أن تضايقه ، وقد رأى الله أن يجرمه من أنثاه حتى لا يتناسلا فيملأن الدنيا وحوشاً تملك من فيها وتأتى على الحرث والنسل ، ولهذا حبس الذكر بقوته الإلهية ، وقتل الأنثى وملحها وحفظها لطعام المؤمنين في الفردوس . وأما ساعات الليل فيقضيهما الإله في مذاكرة التلمود مع الملائكة ومع ملك الشياطين الذي يصعد إلى السماء كل ليلة ثم يهبط منها إلى الأرض بعد انتهاء هذه الندوة العلية .

وقد تغير هذا النظام بعد أن قدر الله على هدم الهيكل وتشريد بني إسرائيل ، فقد اعترف الإله بخطئه في هذا الصدد وندم على ما فعله ، وخصص ثلاثة أرباع الليل للبكاء والندم .

وكان إذا بكى سقطت من عينيه دمعتان في البحر فيسمع دويهما في الآفاق ، وتضطرب المياه وترتجف الأرض فتتجم عن ذلك الزلازل .

ويزعم التلمود أن الله يردد في أنشاء بكائه ونحيبه عبارات تدل على قدمه على ما فعل فيقول : « تبالى ! أمرت بخراب بيتي وإحراق الهيكل وتشريد أولادى » . ويقول حينما يسمع الناس يمجدهونه : « طوبى لمن يمجده الناس وهو مستحق لذلك ، وويل للأب الذى يمجده أبنأؤه مع عدم استحقاقه لذلك ، لأنه قضى عليهم بالتشريد والشقاء » . ويقرر التلمود كذلك أن الإله قد تستولى عليه نزوة غضب فيقسم ليأبين أعمالا شريرة أو غير عادلة ثم يثوب إلى رشده فيتحلل من يمينه كما حدث يوم أن غضب على بنى إسرائيل فى الصحراء ، وأقسم أن يبيدهم ، ثم رجع عن عزمه وتحلل من يمينه بعد أن انقشعت نزوة غضبه .

« وكان فى الغد أن موسى قال للشعب : أنتم قد أخطأتم خطية عظيمة ، فأصعد الآن إلى الرب لعلى أ كفر خطيتكم . فرجع موسى إلى الرب ، وقال : آه قد أخطأ هذا الشعب خطية عظيمة وصنعوا لأنفسهم آلهة من ذهب . والآن إن غفرت خطيتهم ، وإلا فامحنى من كتابك الذى كتبت . فقال الرب لموسى : من أخطأ إلى أخوه من كتابى . والآن اذهب اهد الشعب إلى حيث كلمتك . هوذا ملاكى يسير أمامك ، ولكن فى يوم افتقادى أفتقد فيهم خطيتهم . فضرب الرب الشعب لأنهم صنعوا العجل الذى صنعه هارون ، (١) .

وجاء فى التوراة أن موسى أغلق على شعب إسرائيل بوصيته : « احفظ ما أنا موصيك اليوم . ها أنا طارد من قدامك الأموريين والكنعانيين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين . احترز من أن تقطع عهداً

مع سكان الأرض التي أنت آت إليها لتلايهم وافتحوا في وسطك . بل تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواربهم ، فإنك لا تسجد لإله آخر لأن الرب اسمه غيور ، إله غيور هو ، احترز من أن تقطع عهد مع سكان الأرض ، فيزنون وراء آلهتهم ، فتدعى وتاكل من ذبيحتهم وتأخذ من بناتهم لبنيك فتزني بناتهم وراء آلهتهن ويجعلن بنيك يزنون وراء آلهتهن ، (١) .

وجاء أيضاً من وصاياهم : د حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك . وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . وأما النساء والأطفال والبهايم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتاكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك ، (٢) .

نشأة اللغة العبرية

إذا كان كل شعب يحل لغته ، ويعظمها ، ويرفعها فوق كل لغة ، ويعتز بها ويسمو بمكانتها فوق كل لهجة ، فإن مكان اللغة العبرية من الشعب الإسرائيلي مكان الأم من أبنائها .

قالوا : ولكنهما لم تذكر (بالنص) في الكتب المقدسة ، وهو ما يدل على أن هذه التسمية كانت من عمل غير العبريين ، قالوا : وإنما ذكر في سفر ، إشعياء : د في ذلك اليوم سيكون في أرض مصر خمس مدن تتكلم

(١) خروج ٣٤ : ١١ — ١٦ .

(٢) تثنية ٢٠ : ١٠ — ١٤ .

بلغة كنعان، (١) مسماة باسم كنعان حفيد نوح عليهما السلام. ثم أطلقوا عليها اسم اليهودية: «ثم وقف ربشاقى ونادى بصوت عظيم باليهودى وقال: اسمعوا كلام الملك العظيم ملك آشور، (٢)، فقال الياقيم بن حلقيا وشبنة ويواخ لرشاقى: كلم عبيدك بالآرامى لأننا نفهمه ولا تكلمنا باليهودى فى مسامع الشعب» (٣).

على أننا وجدنا فى سفر نحميا هذا الاسم (يهودى) ولكنه لم يرد له ذكر إلا بعد هجرة العشرة الأسباط — هنالك كان هذا النعت يطلق على اللغة والأمة أيضاً: «فى تلك الأيام أيضا رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات ونصف كلام بنينهم باللسان الأشدودى ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودى بل بلسان شعب وشعب» (٤).

والفرق كبير بين لفظى: عبرى — وإسرائيلى، لأن لفظ عبرى إنما كان ينعت به الشعب قبل ظهور الأسباط وفى الأيام الخالية، أما بعد ذلك فقد اعتزوا بهذه التسمية، وأصبحوا يفخرون بالإسرائيلية.

على أننا لانجد من بين المؤرخين اليونانيين والرومان — مثل بوزينفوس وطصطيوس وحتى المؤرخ اليهودى الشهير يوسفوس — من ذكر اليهود أو سماهم بالإسرائيليين، وإنما كلهم يجمعون على تسميتهم (بالعبريين). «وقال الرب لأبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك... فأخذ أبرام ساراى امرأته ولوطا ابن أخيه وكل

(١) إشعيا ١٩ : ١٨ .

(٢) إشعيا ٣٦ : ١٣ .

(٣) ملوك ثان ١٨ : ٢٦ .

(٤) نحميا ١٣ : ٢٣ — ٢٤ .

مقتنياتهما التي اقتنيا ، والنفوس التي امتلكا في حاران . وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان فأتوا إلى أرض كنعان ، (١).

قالوا : والتاريخ يحفل نشأة اللغة العبرية من عهدها الأول ، إنما غاية ما يعرفه أنها وليدة أرض كنعان ، وأنها كانت تجرى على السنة قبائل الكنعانيين والفيلقيين — سكان فلسطين قبل أن يسكن أبناء إبراهيم تلك البلاد .

ولقد زارت مصر مع أبناء يعقوب حفيد إبراهيم وعادت معهم إلى موطنها الأول — أرض كنعان .

وكنعان اسم يقع ويشمل — كل عشائر الكنعانيين ، سكان فلسطين وما تاخها من بلاد سوريا — ذلك الجزء الذي يقع على سكانه نعت الفيلقيين ، وقد وجدت عملة من آثارهم تشهد بذلك ، وتعزز هذا الرأي .

ترجمة التوراة

ترجمت التوراة بلغة «رها» وصارت الترجمة معروفة مقروءة عند النصارى الآراميين مألوفة في كنائسهم .

أما اسم آرام وآراميين ، فقد تبدل ونسخ معناه ، وصار المسيحيون واليهود يطلقون هذا الاسم على الوثنيين من بني آرام أو الآراميين . من أجل ذلك صار هذا الاسم بغضاً مكروهاً عند أصحاب الدين المسيحي وغيروا اسمهم من آراميين إلى سريان وصارت لغتهم سريانية ، آخذين هذا الاسم من اللغة اليونانية ، واستملح يهود ونصارى فلسطين هذا اللفظ «سريانية» وكان اليونان والعجم يسمون بني آرام الساكنين في أرض بابل بالسريان . وليس من الوجهة في شيء أن تسمى لغة «رها» بالسريانية .

(١) تكوين ١٢ : ١ ، ٥ .

السامريون واليهود

قالت المرأة السامرية للمسيح عليه السلام : « آباؤنا سجدوا في هذا الجبل وأنتم تقولون : إن في أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه، (١) ».

يزعم السامريون أنهم على حق وأنهم أصحاب الدين الخالص ، آيتهم في ذلك أنهم لم يهجروا بلادهم إلى بابل كما هاجر الذين يحاجونهم في ذلك ، ولكنهم لبثوا في أرضهم مقيمين قانتين حفظة كراما للدين .

ويقول اليهود : بل ليس السامريون على شيء ، ولأنهم (اليهود) يعلمون ويوقنون أن أباهم حافظ للدين فلا يسمه سوء ، لأنه الحق المبين . وأن الله كان مدرّكهم وهاديهم في مهجرهم ثم أنهم عادوا من بعد ذلك إلى أورشليم ، بيت المقدس ، بيت الله وهم على دينهم الخفيف . قالوا : أما آباؤكم أيها السامريون فقد تزوجوا من نساء وثليات ، فاختلط الدم بالدم ، واستبحتم ما حرمنا على أنفسنا . ثم لم تقف بكم الحال عند هذا الحد بل جعلتم بناتكم حلالا للوثنيين تصاهروهن وتخالطونهم .

ولقد جمع السامريون من التوراة أسفار موسى الخمسة وكانت لهم هذه الأسفار بالعبرية بالخط العبري القديم ثم ترجموها إلى اللغة الآرامية ، ولهجة سامرية ، بعد أن شاعت اللغة الآرامية وذاعت في بلاد فلسطين .

الشرية في أسفار اليهود

وقيامها على التفرقة العنصرية وعدم وحدتها

تضمنت أسفار العهد القديم والتلمود تنظيمًا كاملاً لشئون الدين والدنيا معاً ، فلم تغادر أى ناحية من نواحي العبادات وشئون المعاملات والسياسة والاقتصاد والأسرة والقضاء والتربية والإخلاق والحرب والعلاقات الدولية وواجبات الفرد نحو نفسه وأسرته ووطنه ، وما إلى ذلك ، لم تغادر أية ناحية من هذه النواحي وغيرها إلا وضعت حدوداً وقواعد ويئنت ما ينبغى أن تكون عليه ، وما يجب اتخاذه فى حالة الخروج عليها ، حتى شئون الأكل والشرب ، والعلاقات الخاصة بين الرجل وزوجه والحيض والنفاس والزراعة والحصاد واستخدام الأنعام فى الحرث . غير أنه يلاحظ فى هذه الشريعة كثير من مظاهر الانحراف والتضارب واختلاط المسائل نذكر منها :

قيام الديانة اليهودية على التفرقة العنصرية :

وذلك أنها تجعل اليهود الشعب المختار الذى اصطفاه الله وفضله على العالمين : ، والآن هكذا يقول الرب خالك يا يعقوب وجابلك يا إسرائيل . لانخف لآنى فديتك . دعوتك باسمك . أنت لى . إذا اجتزت فى المياه فأنا معك وفى الأنهار فلا تغمرك . إذا مشيت فى النار فلا تلذع واللهب لا يحرقك . لآنى أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلصك . جعلت مصر فديتك كوش وسبأ عوضك . إذ صرت عزيزاً فى عيني مكرماً وأنا قد أحببتك أعطى أناساً عوضك وشعوباً عوض نفسك ، (١) . ومن هذا السند ندرك ادعاءاتهم أنهم شعب الله المختار وأصبحوا ينظرون إلى ما عداهم من

الشعوب نظرهم إلى شعوب وضيعة في سلم الإنسانية ، حتى دارون صاحب النظرية القائلة بأن الإنسان من سلالة القرد وتدرج في تطوره حتى وصل إلى حالته الراهنة كانت العقيدة اليهودية والعنصرية الإسرائيلية تسيطر على ذهنه . وعلى العموم فإن هذه الشريعة تضع قوانينها ونظمها على أساس التفرقة العنصرية : « فقالت لإبراهيم اطرده هذه الجارية وابنها . لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحق » (١) . ففارق بين هؤلاء وأولئك أمام القانون وفي كثير من شئون الاجتماع فمن ذلك مثلا أن الإسرائيليين محرم عليهم أن يقتل بعضهم بعضا ، وأن يخرج بعضهم بعضا من ديارهم ، على حين أنه مباح للإسرائيليين ، بل واجب عليهم غزو الشعوب الأخرى وخاصة شعب كنعان ، وواجب عليهم بعد انتصارهم على بلد ما أن يضربوا رقاب جميع رجاله البالغين بحمد السيف . فلا يبقوا على أحد منهم ويسترقوا جميع نسائه وأطفاله ، ويستولوا على جميع ما فيه من مال وعقار ومتاع أو ينهبوه حسب تعبير أسفارهم : « وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحمد السيف . وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك » (٢) .

ومن ذلك أن الإسرائيل إذا باع نفسه بيعا اختياريا لأخيه الإسرائيلي في حالة عوزة وحاجته إلى المال ، فإن رقه يكون موقوتا بأجل يرجع بعده إلى حرته ، على حين أن الرق المضروب على غير الإسرائيلي يظل أبدا الأبدن : « وتقدس السنة الخمسين وتنادون بالعق في الأرض لجميع سكانها تكون لكم يويلا وترجعون كل إلى ملكه وتعودون كل إلى عشيرته » (٣) ، « وإذا افتقر أخوك عندك وبيع لك فلا تستعبده استعباد

(١) تكوين ٢١ : ١٠ .

(٢) التثنية ٢٠ : ١٣ — ١٤ .

(٣) لاويين ٢٥ : ١٠ .

عبد . كاجير كنز يل يكون عندك . إلى سنة اليوبيل يخدم عندك . ثم يخرج من عندك هو وبنوه معه ويعود إلى عشيرته وإلى ملك آبائه يرجع . لأنهم عبيدى الذين أخرجتهم من أرض مصر لا يباعون ببيع العبيد . لا تتسلط عليه بعنف بل اخش إلهك . وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم . منهم تقتنون عبيدا وإماء . وأيضا من أبناء المستوطنين النازلين عندكم منهم تقتنون ومن عشارهم الذين عندكم الذين يلدونهم فى أرضكم فيكونون ملاكا لكم . وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك . تستعبدونهم إلى الدهر ؛ وأما اخوتكم بنو إسرائيل فلا يتسلط لإنسان على أخيه بعنف ، (١) ، « إذا بيع لك أخوك العبرانى أو أختك العبرانية وخدمك ست سنين فى السنة السابعة تطلقه حرا من عندك ، وحين تطلقه حرا من عندك لا تطلقه فارغا ، (٢) ، « إذا اشتريت عبداً عبرانيا فست سنين يخدم وفى السابعة يخرج حرا مجانا ، (٣) .

ومن ذلك أنه ما كان يجوز للإسرائيل أن يتعامل بالربا مع أخيه الإسرائيلى ولا أن يأخذ منه رهنا بدينه ، وإذا أخذ منه فى الصباح رهنا من المتاع الذى لا يستغنى عنه فى حياته اليومية كالرحا وما إليها وجب أن يردّه إليه فى المساء ، أما غير الإسرائيلى فباح للإسرائيلى أن يمتصه ويتعامل معه بأشنع أنواع الربا الفاحش : « الأجنبى تطالب وأما ما كان لك عند أخيك فمهرته يدك منه ، (٤) ، « لا تقرض أخاك بربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء ما مما يقرض بربا . للأجنبى تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكى يباركك الرب إلهك فى كل ما تمتد إليه يدك فى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها ، (٥) .

(١) لاويين ٢٥ : ٣٩ — ٤٦ .

(٢) تثنية ١٥ : ١٢ — ١٣ .

(٣) خروج ٢١ : ٢ .

(٤) تثنية ١٥ : ٣ .

(٥) تثنية ٢٣ : ١٩ — ٢٠ .

القصص في أسفار اليهود

عرضت أسفار اليهود لتاريخ العالم من يوم نشأته إلى قبيل بعثة المسيح فتكلمت بإجمال على خلق السماوات والأرض وخلق آدم وحواء وتاريخهما في الجنة وبعد هبوطهما منها وما حدث لهما بعد ذلك . وقصة نوح والطوفان ، وقصة أولاده الثلاثة سام وحام ويافث ، وعرضت بشيء من التفصيل لتاريخ نسل سام ، وهم الذين ينتمى إليهم بنو إسرائيل ، وخاصة تاريخ إبراهيم وإسحق ويعقوب أو إسرائيل . ثم تناولت بتفصيل كبير تاريخ بني إسرائيل في مختلف مراحل حياتهم في مصر وسيناء وبعد استقرارهم في الأرض المقدسة ، وتاريخ من تولى شئونهم الدينية والسياسية من قضاة وملوك ولاويين وأحبار وربانيين . ومن بعث فيهم من رسل وأنبياء ، وعلاقاتهم بالشعوب الأخرى ، وما جرى بينهم وبين هذه الشعوب من اشتباكات وحروب أو موادة ووفاق - وهلم جرا - وقد استغرق هذا القصص أكبر قسم من أسفار العهد القديم وقسما غير يسير من أسفار التلمود .

هذا ، وقد انتاب القصص في أسفار اليهود تحريف كبير عن الوضع الصحيح ، ويبدو تحريفها هذا في مواطن كثيرة يرجع أهمها إلى مايلي :

١ - أن الذات العلية تبدو في أسفار توراتهم المزعومة ، وبخاصة في القديم منها كسفر التكوين ، وفي بعض أسفار التلمود ، صورة مجسمة متصفة بكثير من صفات الحوادث ، بل بكثير من صفات النقص وغير مختلفة اختلافا كبيرا عن الخلق في طبيعتها ومسلكها ، على النحو الذي نتييناه في قصة آدم وحواء الواردة في سفر التكوين الاصحاح الثالث : « الرب إله غيور ومنتقم . الرب منتقم وذو سخط . الرب منتقم من مبعضيه وحافظ غضبه على أعدائه » (١) .

٢ — أن بعض من بعث فيهم من أنبياء أو رسل تذكرهم أسفار اليهود على أنهم مجرد آباء قدامى Patriarches كإبراهيم وإسحق أو على أنهم مجرد ملوك كداود وسليمان .

٣ — أن أسفارهم تنسب لبعض الأنبياء ، أو لبعض من تسميهم آباء لبني إسرائيل أو ملوكاً لدولهم ، أعمالاً قبيحة تتنافى مع وضعهم الديني والاجتماعي ، بل تتعارض مع الخلق الكريم في ذاته ، ولا يتصور صدورها إلا من سفلة الناس .

منها ما تقرره أسفارهم من أن شعب كنعان قد كتب عليه في الأزل أن يكون رقيقاً لبني إسرائيل وأنه لا ينبغي أن يكون لأفراد هذا الشعب وظيفة في الحياة غير هذه الوظيفة ، فإن تمردوا عليها أو طمحووا إلى الحرية وجب على بني إسرائيل أن يردوهم إليها بحد السيف ، وتقرر أسفارهم أن هذا الوضع قد فرض عليهم لدعوة دعاها نوح على كنعان ونسله ، وذلك أن نوحاً - حسب ما يزعمه سفر التكوين - قد شرب مرة نبيذ العنب الذي غرس كرمه بيده بعد الطوفان بدون أن يعلم خاصته المسكرة ، ففقد وعيه وانكشفت سواته ، فرآه ابنه حام على هذه الصورة فسخر منه ، وحمل الخبر إلى أخويه سام ويافت . ولكن هذين كانا أكثر أدباً منه ، فحملا رداء وسارا به القهقري نحو أبيهما حتى لا يقع نظرهما على عورته ، وسرا به ما انكشف من جسمه ، فلما أفاق نوح وبلغه ما كان من موقف أولاده حياله ، لعن كنعان بن حام ودعا على نسله أن يكونوا عبيداً لعبيد أولاد سام ويافت : « فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير ، فقال : ملعون كنعان . عبد العبيد يكون لإخوته . وقال : مبارك الرب إله سام . وليكن كنعان عبداً لهم . ليفتح الله ليافت فيسكن في مساكن سام ، وليكن كنعان عبداً لهم » (١) .

ومن ذلك ما نقتصه توراتهم المزعومة عن إبراهيم حينما هاجر هو وزوجه سارة إلى مصر على إثر ما أصاب بلاده من جدد ومجاعة ، إذ تذكر أن إبراهيم قال لزوجته وهما في طريقهما إلى مصر إنها امرأة جميلة وإن المصريين لا بد أن يفتتنوا بها وإذا علموا أنها متزوجة فسيقتلون زوجها لتخلص لهم بعد ذلك ، واتفق معها على أن يتظاهرا بأنها أخته حتى تسلم له حياته ، بل يناله حينئذ من المصريين خير كثير : « وحدث جوع في الأرض ، فأتى إبراهيم إلى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع في الأرض كان شديدا . وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته : إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر ، فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون : هذه امرأته ، فيقتلونني ويستبقونك . قولي إنك أختي ليكون لي خير بسببك ونجيا نفسي من أجلك » (١) .

وقد كرر إبراهيم فعلته هذه حسب ما يرغمه سفر التكوين حينما هاجر إلى منطقة جيرار : « وانتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب وسكن بين قادش وشور وتغرب في جيرار ، وقال إبراهيم عن سارة امرأته : هي أختي . فأرسل أبيمالك ملك جيرار وأخذ سارة . فجاء الله إلى أبيمالك في حلم الليل وقال له : ها أنت ميت من أجل المرأة التي أخذتها فإنها متزوجة ببعيل » (٢) .

وكاد أبيمالك حاكم جيرار كما كاد سابقه فرعون مصر يرتكب الإثم مع سارة لولا أن أظهره الله في المنام على حقيقة وأنها امرأة إبراهيم لا أخته وعاتبه على كذبه ، ونفحه كذلك بهمة من النعاج والثيران . فكأنما إبراهيم يتاجر بامرأته هذه متنفلا بها من بلد إلى بلد : « فأخذ أبيمالك غنا

(١) تكوين ١٢ : ١٠ - ١٣ .

(٢) تكوين ٢٠ : ١ - ٣ .

وبقرأ وعبيداً وإماء وأعطاها لإبراهيم . ورد إليه سارة امرأته ، (١) .

وحدث له بيت فرعون كذلك : « فأخذت المرأة إلى بيت فرعون ، فضنع إلى إبراهيم خيراً بسببها . وصار له غنم وبقر وحمر وعبيد وإماء وأتن وجمال » ، (٢) .

ولا عجب أن سلك نفس السلوك إسحق : « وكان في الأرض جوع غير الجوع الأول الذي كان في أيام إبراهيم . فذهب إسحق إلى أبيمالك ملك الفلسطينيين ... وسأله أهل المكان عن امرأته فقال : هي أختي ؛ لأنه خاف أن يقول امرأتى لعل أهل المكان يقتلوننى من أجل رفقة لأنها كانت حسنة المنظر » ، (٣) .

ومن ذلك ما تزعمه توراتهم عن لوط وابنتيه ، إذ تذكر أنه لم ينج من أهل قريتي سدوم وعمورة اللتين دمرهما الله بنار وكبريت — لما كان يرتكبه أهلهما من الشذوذ الجنسي وإتيانهم الذكور — إلا لوط وابنتاه ، وقد أقام ثلاثتهم عقب ذلك في غار في جبل مرتفع . وحينئذ قالت كبراهما لصغريهما : « إن أبانا قد أصبح شيخاً كبيراً ، وليس في هذا المكان القفر رجال يتصلون بنا على النحو الذى يفعله ذكور الناس مع إناثهم ، وإذا بقى الأمر على هذه الحال فسينقرض نسل أبنينا بعد وفاته ووفاتنا ، وخير وسيلة لاتقاء هذه العاقبة هي أن نسقى أبانا خمراً حتى يفقد وعيه ويتصل بنا فتأتى منه بذرية تخلد نسله » . وأنفذتا ما اتفقتا عليه ، وقضت معه الكبرى الليلة الأولى والصغرى الليلة التالية ، وواقع لوط كليهما ، وهو

(١) تكوين ٢٠ : ١٤ .

(٢) تكوين ١٢ : ١٥ — ١٦ .

(٣) تكوين ٢٦ : ٧ — ١١ .

في نشوة سكره فحملتا منه ، وجاءت الكبرى بغلام أسمته موآب ، وجاءت الصغرى بغلام أسمته عمّون ، ومن هذين الغلامين تفرع شعبان كبيران هما شعب الموآبيين وشعب العمونيين : « وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه ، لأنه خاف أن يسكن في صوغر فسكن في المغارة هو وابنتاه . وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض . هلم نسقي أبانا خمرًا ونضطجع معه ، فنحبي من أيننا نسلا . فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة ، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها . وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة : لاني قد اضطجعت البارحة مع أبي . نسقيه خمرًا الليلة أيضاً فادخلي اضطجعي معه . فنحبي من أيننا نسلا . فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة أيضاً ، وقامت الصغرى واضطجعت معه ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها . فخلت ابنتا لوط من أبيهما ، فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب وهو أبو الموآبيين إلى اليوم . والصغيرة أيضاً ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمي ، وهو أبو بني عمون إلى اليوم » (١) .

هذان الشعبان الموآبي والعموني قد دخلا في جماعة الرب حسب تسلسل الأنسال للمسيح : « وأخذ بوعز راعوث الموآبية امرأة » (٢) ، ودخل عليها فأعطاهما الرب حبلا فولدت ابنا ودعته عوييد هو أبو يسى أبى داود . وهذا مناقض لما جاء بالشرعية : « لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب ... » (٣) .

ولذا تأملنا بكل تدقيق في سلسلة أنساب سيدنا عيسى عليه السلام حسب ما جاء بإنجيل متى : « كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود بن

(١) تكوين ١٩ : ٣٠ — ٣٨ .

(٢) راعوث ٤ : ١٣ .

(٣) تثنية ٢٣ : ٢ .

إبراهيم . إبراهيم ولد إسحق ، وإسحق ولد يعقوب ، ويعقوب ولد يهوذا وإخوته . ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار ، (١) . نلاحظ أن ثامار هذه قد زنا بها يهوذا بن يعقوب بن إبراهيم : « فأخبرت ثامار وقيل لها : هوذا حموك صاعد إلى تمنة ليجز عنمه فخلعت عنها ثياب ترميها وتغطت ببرقع وتلففت وجلست في مدخل عينايم التي على طريق تمنة . لأنها رأت أن شيلة قد كبر وهي لم تعط له زوجة ، فنظرها يهوذا وحسبها زانية لأنها كانت قد غطت وجهها . فقال إلهيها على الطريق وقال : هاتي أدخل عليك ، (٢) وحن موعدا ولادتها لحمل قد حملته من يهوذا فاستشاط يهوذا غضبا وأمر بحرقها وهو لا يعلم أنه قد زنى بها : « ولما كان نحو ثلاثة أشهر أخبر يهوذا . وقيل له قد زنت ثامار كنتك وها هي حبل أيضا من الزنا . فقال يهوذا أخرجوها فتحرق . أما هي فلما أخرجت أرسلت إلى حميها قائلة : من الرجل الذي هذه له أنا حبل ؟ وقالت : حقق لمن الخاتم والعصابة والعصا هذه . فتحققها يهوذا وقال : هي أبر مني لأنني لم أعطيها لشيلة ابني ، (٣) .

وفي إنجيل متى جاء أيضا في سلسلة أنساب المسيح عليه السلام : « ويسى ولد داود الملك . وداود الملك ولد سليمان من التي لأوريا ، (٤) ، فمن هي أوريا ؟

لقد جاء في سفر صموئيل الثاني قصة غريبة عن سيدنا داود إذ يذكر أنه كان يمشي في مساء يوم على سطح قصره الملكي فوق بصره في المنزل المجاور له على امرأة مفرطة الجمال وهي تستحم متجردة من جميع ثيابها ، فشغف بها حباً ، وسأل عنها ، فأخبر أنها زوجة أوريا الحثي أحد جنوده المحاربين المشتركين في حملة حربية بقيادة يواب ، فبعث داود في طلبها فجاء

(١) متى ١ : ١ - ٣ .

(٢) تكوين ٣٨ : ١٣ - ١٦ .

(٣) تكوين ٣٨ : ٢٤ - ٢٦ .

(٤) متى ١ : ٦ .

بها إليه . وبعد أن قضى منها وطره عادت إلى منزلها وقد حملت منه فعملت على أن يقف داود على خبر حملها منه : « وكان في وقت المساء أن داود قام . وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم . وكانت المرأة جميلة المنظر جداً . . فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه واضطجع معها وهي مطهرة من طمئها . ثم رجعت إلى بيتها . وحملت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إني حبل ، (١) .

فاستدعى داود زوجها من الجيش وأخذ يسأله عن حالة الحملة وقائدها وأعمالها ، ونفحه ببعض الهدايا ، وطلب إليه أن يذهب إلى منزله ليستريح هذه الليلة . وكان داود يرمى من وراء ذلك أن يقرب الرجل زوجته ، فينسب حملها إليه ، ولا تعلق بداود أية شبهة .

ولكن الرجل أثبت عليه شهامته ووطنيته أن ينعم بالراحة واللذة في بيته بينما جيش بلاده مشتبك في معركة مع الأعداء . فلم يذهب إلى بيته وإنما قضى ليلته نائماً مع خدم القصر الملكي . ولما علم داود بذلك استدعاه مرة ثانية وسأله عن سبب إحجامه عن الذهاب لبيته ، فأجابه بأن نفسه لم تطاوعه بأن ينام في بيته وجيشه يحارب في خارج بلاده ، فطلب إليه أن يبقى يوماً آخر ، ودعاه إلى الطعام والشراب ، وحرص على أن يسكره حتى يفقد وعيه ويذهب إلى زوجته . ولكن أوريا لم يفقد رشده ، فقضى ليلته كالسابقة نائماً مع خدم داود في القصر الملكي . ولما ضاق داود به ذرعاً ، ولم تفلح معه حيلته ، أمر برجوعه إلى الجبهة ، وأرسل إلى يواب قائد جيشه أن يضع أوريا في أخطر منطقة في ميدان القتال وأن يتخلى عنه حتى يقتل . فصعد يواب بالأمر ، وقتل أوريا في الميدان :

« فأرسل داود إلى يواب يقول أرسل إلى أوريا الحي . . وقال داود

لأوريا : انزل إلى بيتك واغسل رجلك . فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصّة من عند الملك . ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته . . . وفي الصباح كتب داود مكتوبا إلى يوثاب وأرسله بيد أوريا . وكتب في المكتوب يقول : اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت ، (١) .

وحينئذ أتبع لداود أن يضم بتشيع زوجة أوريا الحثي إلى نسائه بعد أن انقضى حدادها على زوجها ووضعت حملها وهي في عصمة داود وخفي بذلك على جميع الناس ما ارتكبه داود من جرائم خسيصة إذ زنى بامرأة متزوجة وعمل على قتل زوجها الشجاع وهو يزود عن حياض بلاده : فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها نذبت بعلها . ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنا . وأما الأمر الذي فعله داود ففبح في عيني الرب ، (٢) .

والقصة كما وردت في التوراة وعلى هذا الوضع محض افتراء ولا يتصور صدور وقائعها من رجل عادي ذى خلق فضلا عن نبي كريم بالإضافة إلى تناقض وقائعها مع روح الشريعة المقدسة القائلة : لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب . حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد في جماعة الرب . لا يدخل عموني ولا موآبي في جماعة الرب . حتى الجيل العاشر لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد ، (٣) .

ولقد شهد الإنجيل بسمو أخلاق داود بالقول ، وقال الله قد وجدت داود بن يسى رجلا حسب قلبي الذى سيصنع كل مشيئتي ، (٤) .

(١) صموئيل الثانى ١١ : ٦ — ١٥ .

(٢) صموئيل الثانى ١١ : ٢٦ — ٢٧ .

(٣) تثنية ٢٣ : ٢ — ٣ .

(٤) أعمال الرسل ١٣ : ٢٢ .

تقرير الإنجيل عن بنى إسرائيل

ويقرر سفر الأعمال هذه الوقائع بالقول : « هذا موسى الذى أنكروه قائلين : من أقامك رئيساً وقاضياً . هذا أرسله الله رئيساً وفادياً بيد الملاك الذى ظهر له فى العليقة . هذا أخرجهم صانعاً عجائب وآيات فى أرض مصر وفى البحر الأحمر وفى البرية أربعين سنة .

« هذا هو موسى الذى قال لبنى إسرائيل : نبياً (١) مثل سيقم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون . هذا هو الذى كان فى الكنيسة فى البرية مع الملاك الذى كان يكلمه فى جبل سيناء ومع آبائنا . الذى قبل أقوالاً حية ليعطينا إياها . الذى لم يشأ أباًؤنا أن يكونوا طائعين له بل دفعوه ورجعوا بقلوبهم إلى مصر ، قائلين لهارون : اعمل لنا آلهة تتقدم أمامنا ، لأن هذا موسى الذى أخرجنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه . فعملوا عجلاً فى تلك الأيام وأصعدوا ذبيحة للصنم وفرحوا بأعمال أيديهم . فرجع الله وأسلمهم ليعبدوا جند السماء كما هو مكتوب فى كتاب الأنبياء . هل قربتم لى ذبائح وقرابين أربعين سنة فى البرية يا بيت إسرائيل ؟ بل حملتم خيمة مولوك ، ونجم إلهكم رمفان التماثيل التى صنعتوها لتسجدوا لها . فأنقلكم إلى ما وراء بابل » (٢) .

وعن بنى إسرائيل يقرر المسيح بقوله : « لا تظنوا أنى أشكوكم إلى الآب . يوجد الذى يشكوكم وهو موسى الذى عليه رجاؤكم . لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونى لأنه هو كتب عنى . فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذلك فكيف تصدقون كلامى » (٣) .

(١) راجع كتابى محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والإنجيل والقرآن .

(٢) أعمال الرسل ٧ : ٣٥ — ٤٣ .

(٣) إنجيل يوحنا ٥ : ٤٥ — ٤٧ .

بل لقد أورد سفر الخروج ، وهو أحد أسفار توراتهم المزعومة قصة عبادة بنى إسرائيل للعجل الذهبي في صورة غريبة تدل على أن محررى هذه الأسفار لا يراعون لآنياتهم حرمة ، ولا يرجون لهم وقارا ، ولا يتورعون عن أن ينسبوا إليهم أية نقيصة ، حتى خيانة الرسالة نفسها التي بعثوا من أجلها ، ودفع قومهم إلى الشرك بالله . فقد نسب هذا السفر إلى هارون نفسه عليه السلام أنه قد يسر لبنى إسرائيل سبيل الشرك ، ودفعهم إلى الوثنية ، وعبادة الحيوان والأصنام ، فصنع لهم يديه في سيناء عجلا من ذهب ليعبدوه من دون الله : « ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذى أصدعنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه . فقال لهم هارون : انزعو أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبيكم وبناتكم وأتوني بها . فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هارون . فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالآزميل وصنعه عجلا مسبوكا . فقالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصدعتك من أرض مصر . فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه . ونادى هارون وقال : غدا عيد الرب . فبكروا فى الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة . وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب ، (١) .

بل ذهبوا فى نجاسة أفكارهم إلى أنهم نسبوا إلى سليمان الشريك بالله استجابة وإرضاء لنزوات نسائه : « وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون : موآبيات وعمونيات ، وآدوميات وصيدونيات وحشيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل : لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم . فالتصق سليمان بهؤلاء بالحبة ، وكانت له سبعائة من النساء السيدات وثلاثمائة من الممرات

(٧٠٠ + ٣٠٠ = ١٠٠٠) فأملت نساؤه قلبه . وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب دارد أبيه . فذهب سليمان وراء عشتورث إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين ، وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه . حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكوش رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم ، ولمولك رجس بنى عمون ، وهكذا فعل لجميع نساءه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن، (١) .

نماذج من التلمود

ولم يكتف اليهود بما جاء في توراتهم من اتهامات لأنبياء الله ومن تعاليم خبيثة تبيح الغدر والمكر وسفك الدماء . فأخذ الرهيون والحاخامات يفسرون التوراة حسب أهوائهم وبالشكل الذي يرضى غرائزهم الشريرة ، ونزوعهم إلى عمل المنكرات واستعلاءهم على بقية أجناس البشر . وأول من جمع تلك التفسيرات في كتاب أسماه « المشنا » هو الحاخام يوخاس حوالى سنة ١٥٠ م ومشنا معناها الشريعة الشفوية المسكورة ، وقد زيد في القرون التالية على كتاب المشنا الأصلى شروحات أخرى صار تأليفها في فلسطين وبابل ، ثم علق عليها اليهود على المشنا حواشى كثيرة وشروحات مسببة دعوها باسم « جامارة » . فالمشنا المشروحة على هذه الصورة مع الجامارة كونت التلمود ومعناها كتاب تعليم ديانة اليهود وآدابهم . وهذه الشروحات مأخوذة عن مصدرين أحدهما المسمى بتلمود أورشليم وقد كان موجوداً في فلسطين سنة ٣٣٠ م وثانيهما تلمود بابل وكان موجوداً فيها سنة ٥٠٠ م (٢) .

(١) ملوك أول ١١ : ١ - ٨ .

(٢) نقلا من كتاب الكنز المرصود في قواعد التلمود للدكتور روهلتج - ترجمه إلى العربية

الدكتور يوسف نصرالله - لإصدار مطبعة المعارف سنة ١٨٩٩ .

ويوجد في نسخ كثيرة من التلمود الذى طبع في القرن التاسع عشر مواضع تركت خالية من الكتابة بعد أن حذف منها ألفاظ السب والطعن في المسيح والعذراء ، بيد أن جميع طبعات التلمود لم تخل من سب المسيحيين الذين أطلق عليهم اسم « جنتيل ، Gentile أو الأيميين أو الوثنيين ، وصدرت من التلمود طبعات كثيرة أهمها طبعة أمستردام سنة ١٦٤٤ ، وطبعة فارسوفيا سنة ١٨٦٣ وبراج سنة ١٨٣٩ م .

ويقصد اليهود التلمود ويعتبرونه أهم من التوراة ، ويرون أن من يحتقر أقوال الحاخامات يستحق الموت ، وأنه لا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط ، لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى .

وقال أحدهم : « اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء » . كما قال أحد علمائهم : « إن مخافة الحاخامات هي مخافة الله » ، وقال ثالث : « إن من يقرأ التوراة بدون المشنا والجמارة فليس له إله » . وجاء في التلمود صفحة ٧٤ : « إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله » . وقد وقع الاختلاف بين الله وبين علماء اليهود في أمر من الأمور وبعد أن طال الجدل تقرر إحالة الخلاف إلى أحد الحاخامات الذى حكم بخطأ الإله بما اضطر معه سبحانه وتعالى إلى الاعتراف بخطئه . . .

ولعل قصة حاجة إبراهيم لله بشأن تدمير سدوم وعمورة هي الإلهام الذى استمد منه الحاخامات اغترارهم بأنفسهم وتعاليمهم على الله : « فتقدم إبراهيم وقال : أقتلك البار مع الأثيم ؟ » (١) ، « فقال : لا يسخط المولى فأنتكم هذه المرة فقط عسى أن يوجد هناك عشرة » ، فقال : لا أهلك من أجل العشرة (٢) ، بل لعل قصة إسرائيل أكملت الانتصار الإنسانى على الله :

(١) تكوين ١٨ : ٢٣ .

(٢) تكوين ١٨ : ٣٢ .

« فبقى يعقوب وحده ، وصارعه لإنسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه ، فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعة معه ، وقال : أطلقني لأنه قد طلع الفجر ، فقال : لا أطلقك إن لم تباركني . فقال له : ما اسمك ؟ فقال : يعقوب ، فقال : لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل لإسرائيل ، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت » (١) .

فما هي تعاليم أولئك الحاخامات والريين التي يدين بها اليهود ويقدسونها ؟
تعاليم التلمود (٢) :

١ - النهار اثنتا عشرة ساعة : في الثلاث الأولى يجلس الله ويطلع الشريعة ، وفي الثلاث الثانية يحكم ، وفي الثلاث الثالثة يطعم العالم ، وفي الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك السماك .

- اعترف الله بأخطائه في تصريحه بتخريب الهيكل فصار يبكي ويزأر قائلاً : تبتاً لي لأنني صرحت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي .

ويندم الله على تركه اليهود في حالة التعاسة حتى أنه يلطم ويبكي كل يوم قسقط من عينيه دمعتان في البحر فيسمع دويهما من بدء العالم إلى أقصاه وتضطرب المياه وترتجف الأرض في أغلب الأحيان فتحصل الزلازل .

- ليس الله معصوماً عن الطيش والغضب والكذب .

ب - بعض الشياطين من نسل آدم ، وكان آدم يأتي شيطانة مهمة اسمها « ليليت » ، مدة ١٣٠ سنة فولد منها شياطين ، وكانت حواء لا تلد في هذه المدة إلا شياطين بسبب نكاحها من ذكور الشياطين ، ويستطيع الإنسان في بعض الأحوال أن يقتل الشياطين إذا أجاد صنع فطير عيد الفصح .

(١) تكوين ٣٢ : ٢٤ - ٢٨ .

(٢) الكنز المرصود في قواعد التلمود للدكتور روهلنج .

ج — تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده ، وأرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح لأن الأرواح غير اليهودية هي أرواح شيطانية وشبهة بأرواح الحيوانات .

— إن نطفة غير اليهودي هي كنطفة باقي الحيوانات .

وأكثرت زناها بذكرها أيام صباها التي فيها زنت بأرض مصر ، وعشقت معشوقهم الذين لهم كلهم الحمير ومنهم كفى الخيل ، وافترقت رذيلة صباك بزغرة المصريين ترائيك لأجل ثدى صباك » (١) .

ومن هذا السند نتضح مزاعمهم بأن نطفة غير اليهودي هي كنطفة باقي الحيوانات في ترتيبها السفلي .

د — النعيم مأوى أرواح اليهود ولا يدخل الجنة إلا اليهود ، أما الجحيم فأوى الكفار من المسيحيين والمسلمين ولا نصيب لهم فيه سوى البكاء لما فيه من الظلام والعفونة والطين .

— لا يأتي المسيح إلا بعد انقضاء حكم الأشرار الخارجين على دين بني إسرائيل . وحينئذ يأتي المسيح تطرح الأرض فظيراً وملابس من الصوف وقمحا حبه بقدر كلاوى الثيران الكبيرة . وفي ذلك الزمن ترجع السلطة لليهود وكل الأمم تخدم ذلك المسيح وتخضع له . وفي ذلك الوقت يكون لكل يهودي ألفان وثمانمائة عبد يخدمونه .

هـ — يجب على كل يهودي أن يبذل جهده لمنع استملاك باقي الأمم في الأرض لتبقى السلطة لليهود وحدهم . وإذا تسلط غير اليهود على أوطان اليهود حق هؤلاء أن يندبوا ويقولوا : ياللعار ويالللخراب !! وقبل أن تحكم

اليهود نهائياً على باقى الأمم يلزم أن تقوم الحرب على قدم وساق ويهلك
ثلثا العالم .

وهم فى انتظار المسيح الثانى يعلمون أنه سيجىء وتسبقه علامات منها
ما ذكره القديس بطرس فى رسالته : : فبما أن هذه كلها تنحل أى أناس
يجب أن تكونوا فى سيرة مقدسة وتقوى منتظرين وطالين سرعة مجىء
يوم الرب الذى به تنحل السموات ملتهبة والعناصر محترقة تذوب ولكننا
بحسب وعده نلتنظر سموات جديد وأرضاً جديدة يسكن فيها البر ، (١) .

ويبقى اليهود مدة سبع سنوات يحرقون الاسلحة التى غنموها بعد
النصر . وحينئذ تلبث أسنان أعداء بنى إسرائيل بمقدار اثنين وعشرين
ذراعاً خارجاً عن أفواههم .

وتعيش اليهود فى حرب عوان مع باقى الشعوب منتظرين ذلك اليوم ،
وسياتى المسيح الحقيقى ويحصل النصر المنتظر وتكون الأمة اليهودية
لذا ذلك فى غاية الإثراء لأنها تكون قد حصلت على جميع أموال العالم .
وتحفظ هذه الكنوز فى سرايات واسعة لا يمكن حمل مفاتيحها على الأقل
من ثلثمائة حمار .

و — قتل المسيحى من الأمور الواجب تنفيذها ، وإن العهد مع المسيحى
لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم اليهودى به . وإن الواجب الدينى أن يلعن
اليهودى ثلاث مرات رؤساء المذهب النصرانى وجميع الملوك الذين
يتظاهرون بالعداوة ضد بنى إسرائيل .

وإن يسوع الناصرى موجود فى لجات الجحيم بين الزفت والقطران

والنار ، وإن أمه مريم أتت به من العسكرى باندارا بمباشرة الزنا ، وإن الكنائس النصرانية بمقام قاذورات وإن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابجة.

ز - الإسرائيلى معتبر عند الله أكثر من الملائكة . فإذا ضرب أمى لإسرائيليا فكأنه ضرب العزة الإلهية ويستحق الموت . ولو لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض ولما خلقت الأمطار والشمس . والفرق بين درجة الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهودى وباقي الشعوب . والنطفة المخلوق منها باقى الشعوب هى نطفة حصان .

- الأجانب كالكلاب والأعياد المقدسة لم تخلق للأجانب ولا للكلاب . والكلب أفضل من الأجنبي لأنه مصرح لليهودى فى الأعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم الأجنبي أو أن يعطيه لحما بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منه .

- لا قرابة بين الأمم الخارجة عن دين اليهود لأنهم أشبه بالخير . ويعتبر اليهود ييوت باقى الأمم زرائب للحيوانات .

- الخارجون عن دين اليهود خنازير نجسة . وخلق الله الأجنبي على هيئة إنسان ليسكون لايقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من أجلهم .

- يسوع المسيح ارتد عن دين اليهود وعبد الأوثان . وكل مسيحى لم

يتهود فهو وثنى عدو لله ولليهود .

- ليس من العدل أن يشفق الإنسان على أعدائه ويرحمهم . يحق لليهودى أن يغش الكفار . ومحذور عليه أن يحيى الكافر بالسلام مالم يخش ضرره أو عداوته ، والنفاق جائز فى هذه الحالة ولا بأس من ادعاء محبة الكافر إذا خاف اليهودى من أذاه .

مصرح لليهودى أن يوجه السلام إلى الكافر على شرط أن يستهزى به سرّاً .

ح - بما أن اليهود يساؤون أنفسهم مع العزة الإلهية فالدنيا وما فيها ملك لهم ، ويحق لهم التسلط على كل شيء فيها . والسرقه غير جائزة من اليهودى ومسموح بها إذا كانت من مال غير اليهودى . والسرقه من غير اليهودى لا تعتبر سرقه بل استرداداً لمال اليهودى الذى يبيحه الدين اليهودى ويحلل سرقته ، وأموال غير اليهود مباحه عند اليهود كالأموال المتروكة أو كرمال البحر التى يملكها من يضع يده عليها أولاً . ومثل بنى إسرائيل كسيدة فى منزلها يحضر لها زوجها النقود فتأخذها بدون أن تشترك معه فى الشغل والتعب .

والسرقه وإن كانت محرمة حسب الوصية الثامنة «لا تسرق» (١) إلا أنهم استلهموا ابتزاز مال الأجنبي من قصة يعقوب مع خاله لابان : « فأخذ يعقوب لنفسه قضباناً خضراً من لبنى ولوز ودلب وقشر فيها خطوطاً أيضاً كاشطاً عن البياض الذى على القضبان . وأوقف القضبان التى قشرها فى الأجران فى مساقى الماء حيث كانت الغنم تجمىء لتشرب تجاه الغنم لتتوحم عند مجيئها لتشرب .

« فتوحت الغنم عند القضبان وولدت الغنم مخططات ورقطاً وبلقاً وأفرز يعقوب الحرفان وجعل وجوه الغنم إلى المخطط وكل أسود بين غنم لابان . وجعل له قطعاناً وحده ولم يجعلها مع غنم لابان .

« وحدث كلما توحت الغنم القوية أن يعقوب وضع القضبان أمام عيون الغنم فى الأجران لتتوحم بين القضبان . وحين استضعفت الغنم لم

يضعها ، فصارت الضعيفة للابان والقوية ليعقوب فانسع الرجل كثيراً جداً ، وكان له غنم كثير وجوار وعبيد وجمال وحمير ، (١) .

ويؤكد لابان حقه المسلوب لصهره يعقوب : « فأجاب لابان وقال ليعقوب : البنات بناتي والبنون بني والغنم غنمي وكل ما أنت ترى فهو لي ... ماذا فعلت وقد خدعت قلبي وسقت بناتي كسبايا السيف ، (٢) .

ويقرر إسحق عليه السلام ما انطوى عليه يعقوب من طبيعة المكر والدهاء بقوله : « قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك ، فقال : ألا إن اسمه دعى يعقوب ، فقد تعقبني الآن مرتين : أخذ بكوريتي وهوذا الآن قد أخذ بركتي ، (٣) .

هذه مزاعم التوراة حول نبي من أنبياء الله ، بل أكثر من هذا حول علم انطوى تحت لوائه كل يهودى يتفاخر بأنه إسرائيلى نسبة إلى هذا الرجل الذى نسبوا إليه المكر والخداع .

ويستطرد التلمود :

ط - إذا جاء الأجنبي والإسرائيلى أمامك بدعوى فإذا أمكنك أن تجعل الإسرائيلى رابحاً فافعل ، واستعمل الغش والخداع فى حق الأجنبي حتى تجعل الحق لليهودى .

— مصرح لك أن تغش مأمور الجرك غير اليهودى وأن تحلف له أيماناً كاذبة وتعلم من الحاخام صموئيل الذى اشترى من أجنبي آنية من الذهب ظنها الأجنبي نحاساً ودفع الحاخام ثمنها أربعة دراهم فقط ثم سرق منها درهماً .

(١) تكوين ٣٠ : ٢٧ - ٤٣ .

(٢) تكوين ٣١ : ٤٣ ، ٢٦ .

(٣) تكوين ٢٧ : ٢٥ - ٣٦ .

— مسموح بغش الأجنبي وسرقة ماله بواسطة الربا الفاحش .
— يأمر الله بأخذ الربا من غير اليهودى وألا تقرضه إلا تحت هذا الشرط ، أى بالربا ، وبدون ذلك نكون قد ساعدناه على أنه من الواجب علينا ضرره .

— حياة غير اليهودى ملك لليهودى فكيف بأمواله ؟
— إذا احتاج غير اليهودى بعض النقود فعلى اليهودى أن يستعمل معه الربا المرة بعد الأخرى حتى يعجز عن سداد ما عليه إلا بتنازله عن جميع أمواله .

ولعل ما جاء بسفر الخروج وما تزعمه التوراة من أنها تأمر بنى إسرائيل بسلب المصريين إلهاماً لهم للإضرار بالغير في معاشهم :

، وأعطى نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين . فيكون حينئذ تمضون أنكم لا تمضون فارغين ، بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم ، فتسلبون المصريين ، (١) .

ويستطرد التلمود :

ى — اقتل الصالح من غير اليهود ، ومحرم على اليهودى أن ينجى أحداً من الأجانب من هلاك أو يخرج من حفرة يقع فيها ، بل عليه أن يسدها بحجر .

— من العدل أن يقتل اليهودى بيده كل كافر لأن من يسفك دم الكافر يقرب قرباناً إلى الله .

وجاء في سفر الخروج حادث قتل موسى للمصري واتخذ منه الأحبار إلهاما لتصوراتهم وما تزعمه التوراة على هذا النحو : « وحدث في تلك الأيام لما كبر موسى أنه خرج إلى إخوته لينظر في أئقافهم . فرأى رجلا مصريا يضرب رجلا عبرانيا من إخوته . فالتفت إلى هنا وهناك ورأى أن ليس أحد فقتل المصري وطمره في الرمل ، (١) .

وما تزعمه التوراة في الانتقام من شكيم بن حمور الحوى رئيس الأرض : « وخرجت دينة ابنة ليئة التى ولدتها ليعقوب لتتظر بنات الأرض فرآها شكيم بن حمور الحوى رئيس الأرض وأخذها واضطجع معها وأذلها . وتعلقت نفسه بدينة ابنة يعقوب وأحب الفتاة ولاطف الفتاة . فكلّم شكيم حمور أباه قائلا : خذلى هذه الصبية زوجة . وسمع يعقوب أنه نجس دينة ابنته . وأما بنوه فكانوا مع مواشيه فى الحقل فسكت يعقوب حتى جاءوا فخرج حمور أبو شكيم إلى يعقوب ليتكلم معه . وأتى بنو يعقوب من الحقل حين سمعوا ، وغضب الرجال واغتاظوا جداً لأنه صنع قباحة فى إسرائيل بمضاجعة ابنة يعقوب ... فحدث أن ابنى يعقوب شمعون ولاوى أخوى دينة أخذوا كل واحد سيفه وأتى على المدينة بأمن وقتل كل ذكر . وقتلا حمور وشكيم ابنه بمحد السيف . وأخذوا دينة من بيت شكيم وخرجوا ثم أتى بنو يعقوب على القتل ونهبوا المدينة ، لأنهم نجسوا أختهم ، غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما فى المدينة وما فى الحقل أخذوه وسلبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونساءهم وكل ما فى البيوت ، (٢) .

(١) خروج ١ : ١١ - ١٢ .

(٢) تكوين ٣٤ : ١ - ٧ و ٢٥ - ٢٩ .

ويستطرد التلود :

— الشفقة ممنوعة بالنسبة للوثى . فإذا رأيته واقعاً في نهر أو مهدداً بخطر فيحرم عليك أن تنقذه لأن السبعة الشعوب الذين كانوا في أرض كنعان المراد قتلهم من اليهود لم يقتلوا عن آخرهم بل هرب بعضهم واختلط بباقي الأمم . ولذلك يجب قتل الأجنبي لأنه من المحتمل أن يكون من نسل هؤلاء السبعة الشعوب . وعلى اليهودى أن يقتل من يتمكن من قتله فإذا لم يفعل ذلك يخالف الشرع .

وما هي تلك الشريعة التى يستندون إليها ؟ إنهم يزعمون بأن الله لا بد أن يبيد شعب كنعان بقبائله وشعب حام عن بكرة أبيه ، إذ سبق فوعد إبراهيم بميراثه لأرضهم : « فى ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات ، القينيين والقزوين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين ، (١) .

ويوصى موسى بأن يخاطب شعب إسرائيل : « كلم بنى إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان ، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم وتملكون الأرض وتسكنون فيها لأنى قد أعطيتكم الأرض لى تملكوها ، (٢) .

ويؤكد يشوع لبنى إسرائيل أن الحرب للرب : « ثم قال لهم يشوع : بهذا تعلمون أن الله الحى فى وسطكم وطرداً يطرد من أمامكم الكنعانيين والحثيين والحويين والفرزيين والجرجاشيين والأموريين واليبوسيين . هوذا تابوت عهد سيد كل الأرض عابر أمامكم فى الأردن ، (٣) .

(١) تكوين ١٥ : ١٨ - ٢١ .

(٢) عدد ٣٣ : ٥٠ - ٥٣ .

(٣) يشوع ٣ : ٩ - ١١ .

ويستطرد التلمود :

— قتل النصارى من الأفعال التى يكافئ الله عليها ، وإذا لم يتمكن اليهودى من قتلهم فواجب عليه أن يتسبب فى هلاكهم فى أى وقت وعلى أى وجه .

— الذى يرتد عن الدين اليهودى يعامل كالأجنبي ويقتل إلا إذا فعل ذلك لأجل أن يغش غير اليهود ويوهمهم أنه أصبح على دينهم .

« واتخذ بنو إسرائيل من إقامتهم فى شطيم وسيلة لإشاعة الانحلال : « وأقام إسرائيل فى شطيم وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهن فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن وتعلق إسرائيل ببعل فغور » (١) .

« فسكن بنو إسرائيل فى وسط الكنعانيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبيهم وعبدوا آلهتهم » (٢) .

وجعل بنو إسرائيل من هذا الاختلاط أساساً لشريعة انحلال أخلاقى ،
حيث قال التلمود :

ك — اليهودى لا يخطئ إذا اعتدى على عرض الأجنبية لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد لأن المرأة غير اليهودية تعتبر بهيمة والعقد لا يوجد بين البهائم .

— لليهود الحق فى اغتصاب النساء غير المؤمنات أى غير اليهوديات .

(١) عدد ٢٥ : ١ - ٣ .

(٢) قضاة ٣ : ٥ - ٦ .

— إن الزنا بغير اليهود ذكوراً كانوا أم إناثاً لآعقاب عليه لأن
الأجانب من نسل الحيوانات .

ونسوا أن الله في حكمته قد أسكنهم بين الأمم : د فهو لاء هم الأمم
الذين تركهم الرب ليمتحن بهم إسرائيل كل الذين لم يعرفوا جميع حروب
كنعان ، إنما لمعرفة أجيال بني إسرائيل لتعليمهم الحرب الذين لم يعرفوها
قبل فقط ، أقطاب الفلسطينيين الخمسة وجميع الكنعانيين والصيدونيين
والحويين سكان جبل لبنان من جبل بعل حرمون إلى مدخل حماة ، كانوا
لامتحان إسرائيل بهم لكي يعلم هل يسمعون وصايا الرب التي أوصى بها
آباؤهم عن يد موسى ، (١) .

ويستمرسل التلبود فيقول :

— من رأى أنه يجامع والدته فسيؤتى الحكمة ، ومن رأى أنه يجامع
أخته فمن نصيبه نور العقل .

ويستمدون سنداً لهذا : وحدث إذ كان إسرائيل ساكناً في تلك
الأرض أن رأوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه وسمع إسرائيل (٢) ،
ثم قال امنون لثامار : إيتي بالطعام إلى المخدع فأكل من يدك ، فأخذت
ثامار الكعك الذي عملته وأتت به امنون أخاها إلى المخدع وقدمت له
ليأكل ، فأمسكها وقال لها : تعالي اضطجعي معي يا أختي ، فقالت له :
لا يا أخي لا تذلني لأنه لا يفعل هكذا في إسرائيل . لا تعمل هذه القباحة ،
أما أنا فأين أذهب بعاري ؟ وأما أنت فتكون كواحد من السفهاء في
إسرائيل . والآن كلم الملك لأنه لا يمنعني منك ، فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل
تمكن منها وقهرها واضطجع معها ، (٣) .

(١) فضاة ٣ : ١ - ٤ .

(٢) تكوين ٣٥ : ٢١ .

(٣) صموئيل الثاني ١٣ : ١٠ - ١٤ .

ويستطرد التلمود فيقول :

— مصرح لليهودى أن يسلم نفسه للشهوات إذا لم يمكنه مقاومتها .
— ليس للمرأة اليهودية أن تبدى أية شكوى إذا زنى زوجها بأجنبية
فى المسكن المقيم فيه مع زوجته .

— اللواط بالزوجة جائز لليهودى ، لأن الزوجة بالنسبة للاستمتاع
بها كقطعة لحمه اشتراها من الجزار ويمكنه أكلها مسلوقة أو مشوية
حسب رغبته .

وهم يستيحيون إتيان الذكور استناداً إلى ما جاء فى سفر القضاة :
وقال الرجل الشيخ : السلام لك ، إنما كل احتياجك على ولكن لا تبت
فى الساحة وجاء به إلى بيته وعلف حميرهم فغسلوا أرجلهم وأكلوا وشربوا .
وفيا هم يطيبون قلوبهم إذا برجال المدينة رجال بنى بليعال أحاطوا بالبيت
قارعين الباب وكلوا الرجل صاحب البيت الشيخ فائلين : أخرج الرجل
الذى دخل بيتك فنعرفه . فخرج إليهم الرجل صاحب البيت وقال لهم :
لا يا إخوتى لا تفعلوا شراً . بعد ما دخل هذا الرجل يتي لا تفعلوا هذه
القباحة ، هوذا ابنتى العذراء وسرّيته دعونى أخرجهما فأذلوها وافعلوا
بهما ما يحسن فى أعينكم وأما هذا الرجل فلا تعملوا به هذا الأمر القبيح .
فلم يرد الرجال أن يسمعوا له (١) .

ويستطرد التلمود فيقول :

ل — يجوز لليهودى أن يحلف يمينا كاذبة وخاصة فى معاملته مع
باقى الشعوب .

وهذا القول مناقض للوصية الثالثة : « لا تتطق باسم الرب إلهك باطلا
لأن الرب لا يبرىء من نطق باسمه باطلا (١) ، ، ومناقض لأحكام الشريعة
التي أوصى بها موسى : « وإذا نزل عندك غريب في أرضكم فلا تظلموه ،
كالوطني منكم يكون لكم الغريب النازل عندكم وتبجه كنفسك لأنكم
كنتم غرباء في أرض مصر ، أنا الرب إلهكم ، لا ترتكبوا جوراً في
القضاء لا في القياس ولا في الوزن ولا في الكيل . ميزان حق ووزنات
حق وإيفة حق وهين حق تكون لكم ، أنا الرب إلهكم الذي أخرجكم
من أرض مصر فتحفظون كل فرائضي وكل أحكامي وتعملونها
أنا الرب ، (٢) .

وينذر الله العصاة على لسان موسى : « لكن إن لم تسمعوا لي ولم
تعملوا كل هذه الوصايا ، إن رفضتم فرائضي وكرهت أنفسكم أحكامي
فما عملتم كل وصاياي بل نكشتم ميثاقى ، فإنى أعمل هذه بكم : أسلط
عليكم رعباً وسلاً وحمى تضى العينين وتتلف النفس . وتزرون باطلا
زرعكم فيا كاه أعدائكم . وأجعل وجهى ضدكم فتنهزمون أمام أعدائكم
ويتسلط عليكم مبغضوكم وتهربون وليس من يطردهم (٣) .

ويستطرد التلمود فيقول :

— واليمين جعلت لحسم النزاع بين الناس ، أما لغير اليهود من
الحيوانات فلا اعتبار لها .

ويجوز لليهودى أن يشهد زوراً وأن يقسم بحسب ما تقتضيه مصلحته
عند اللزوم ويؤول ذلك في سره .

(١) خروج ٢٠ : ٧ .

(٢) اللاويون ١٩ : ٣٣ - ٣٧ .

(٣) اللاويون ٢٦ : ١٤ - ١٧ .

وهذا يتناقض تناقضاً بيناً مع الوصية التاسعة : « لا تشهد على قريبك شهادة زور » (١) ، وأيضاً مع الوصية العاشرة : « لا تشته بيت قريبك . لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمتة ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك » (٢) .

سأل ناموسى المسيح عليه السلام قائلاً : « ومن هو قريبى ؟ » ، فأجابه بمثل قائلاً : « إنسان كان نازلاً من أورشليم إلى أريحا فوقع بين لصوص فعروه وجرحوه ومضوا وتركوه بين حى وميت ، فعرض أن كاهنا نزل فى تلك الطريق فرآه وجاز مقابله ، وكذلك لاوى أيضاً إذ صار عند المكان جاء ونظر وجاز مقابله . ولكن سامرياً مسافراً جاء إليه ولما رآه تحن فتقدم وضمد جراحاته وصب عليها زيتاً وخرأ وأركبه على دابته وأتى به إلى فندق واعتنى به فأى هؤلاء الثلاثة ترى صار قريباً للذى وقع بين اللصوص ؟ فقال : الذى صنع معه الرحمة » (٣) . ولم يشأ أن يقول الإنسان السامرى لما بين السامريين واليهود من عداوة أصيلة فى الدم .

ويسترسل التلمود فيقول :

م — على اليهودى أن يؤدى عشرين يمينا كاذبة ولا يعرض أحدهم لإخوانه اليهود لضرر ما .

— يجب على كل يهودى أن يلعن النصارى كل يوم ثلاث مرات ويطلب من الله أن يبيدهم ويفنى ملوكهم وحكامهم .

— على اليهود أن يعاملوا المسيحيين كحيوانات دنيئة غير عاقلة .

(١) خروج ٢٠ : ١٦ .

(٢) خروج ٢٠ : ١٧ .

(٣) إنجيل لوقا ١٠ : ٢٩ - ٣٧ .

— كنائس المسيحيين كبيوت الضالين ومعابد الأصنام فيجب على اليهود تخريبها .

ن — نحن شعب الله في الأرض وقد أوجب علينا أن يفرقنا لمنفعتنا ، ذلك أنه لأجل رحمته ورضاه عنا سخر لنا الحيوان الإنساني وهم كل الأمم والأجناس سخرهم لنا ، لأنه يعلم أننا نحتاج إلى نوعين من الحيوان : نوع أخرس كاللدواب والأنعام والطير ، ونوع ناطق كالمسيحيين والمسلمين والبوذيين وسائر الأمم من أهل الشرق والغرب ، فسخرهم لنا ليكونوا في خدمتنا ، وفرقنا في الأرض لنمتطي ظهورهم ونمسك بعنانهم ونستخرج فنونهم لمنفعتنا . لذلك يجب أن نزوج نباتنا الجميلات للملوك والوزراء والعظماء وأن ندخل أبنائنا في الديانات المختلفة ، وأن تكون لنا الكلمة العليا في الدول وأعمالها ، فنفتنهم ونوقع بينهم وندخل عليهم الخوف ليحارب بعضهم بعضاً ، وفي ذلك كله نجني الفائدة الكبرى .

وبهذا فإنهم أصحاب مدارس الجاسوسية في الأرض ومدارس الفكر السفسطائي ، والتوراة والإنجيل يشهدان بذلك ، ففي عهد أحشويرش الملك الذي ملك من الهند إلى كوش والذي أراد له زوجة ليتوجها ملكة على الإمبراطورية الفارسية استغل اليهود الذين سباهم الملك نبوخذ نصر ملك بابل رغبة الملك أحشويرش فتقدموا إليه بأجمل بناتهم : « ولم تكن استير أخبرت عن جنسها وشعبها كما أوصاها مردخاي ، وكانت استير تعمل حسب قول مردخاي كما كانت في تربيتها عنده ، (١) . وكان لجمالها ما جعل الملك يعشقها ويفتن بها : « فأحب الملك استير أكثر من جميع النساء ، ووجدت نعمة وإحساناً قدامه أكثر من جميع العذارى فوضع تاج الملك على رأسها

وملكها مكان وشتى ، (١) .

ولم تلس استير شعبها ومكانتها بين شعبها واستطاعت أن تستغل جمالها واقتتان الملك بها حتى استصدرت منه أمراً بإعدام أعداء اليهود إذ قالت للملك في ساعة نشوته بها : « إننا قد بعنا أنا وشعبى للهلاك والقتل والإبادة ، ولو بعنا عبيداً وإماء لكننت سكنت مع أن العدو لا يعوض عن خسارة الملك ، (٢) . ووضعت عدو شعبها في كفة وشعبها ونفسها في كفة ، وإنها بجملها ورقها قد سيطرت على عقل وقلب الملك فرأى لإرضائها أن يحمي شعبها ويدود عنهم حماية لها لا استمتاعاً بها .

وقال الملك أحشوريش لاستير الملكة ومردخاى اليهودى : « هو ذا قد أعطيت بيت هامان لاستير أما هو فقد صلبوه على الخشبة من أجل أنه مد يده إلى اليهود ، فاكتبوا أتما إلى اليهود ما يحسن في أعينكما باسم الملك واختاهم بخاتم الملك لأن الكتابة التى تكتب باسم الملك وتختم بخاتمه لاترد ، (٣) . وتمسكن اليهود من أعدائهم ، تمسكن الدخلاء من الوطنيين الشرعيين : « فضرب اليهود جميع أعدائهم ضربة سيف وقتل وهلاك وعملوا بمبغضهم ما أرادوا ، (٤) .

والباحث المدقق فى إنجيل برنابا يفطن مباشرة إلى أن بولس فى اعتناقه للمسيحية إنما كان يحقق هدفاً من أهداف التلمود ، بل إن انقسام الكنيسة فى مجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥ إلى معسكرين (٥) متضادين : معسكر يتزعمه آريوس ، وهو منطوق فى آرائه ومعتقداته ، وآخر يتزعمه

(١) استير ٢ : ١٧ .

(٢) استير ٧ : ٤ .

(٣) استير ٧ : ٧ — ٨ .

(٤) استير ٩ : ٥ .

(٥) أوربا العصور الوسطى ، للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور .

انثاسيوس وهو الذى نادى بالوهية المسيح . . هذا الانقسام نفسه يعتبر أحد الأهداف التى هدف إليها اليهود وعملوا لها . . . والدراسة الواعية للعهد الجديد تجعلنا نستشف تلك الآراء والاتجاهات التى نادى بها بولس ، وتحملنا على محاولة تفهم شخصيته من خلال تعاليمه .

وقد كان بولس يدعى شاول قبل اعتناقه المسيحية ، وقد لقي المسيحيون على يديه كثيراً من الاضطهاد والتعذيب :

« وحدث فى ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التى فى اورشليم فتشتت الجميع فى كور اليهودية والسامرة ماعدا الرسل . وحمل رجال أتقياء استفانوس وعملوا عليه مناحة عظيمة ، وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويحرق رجالاً ونساء ويسلمهم إلى السجن » (١) . بل أكثر من هذا ، كان شاول راضياً بقتل استفانوس ، (٢) ، « أما شاول فكان لم يزل ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب ، فتقدم إلى رئيس الكهنة ، وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناساً من الطريق رجالاً أو نساء يسوقهم موثقين إلى اورشليم » (٣) . ويؤس الكهنة وعملهم شاول من إبادة المسيحيين لأنه « كانت يد الرب معهم فأمن عدد كثير ورجعوا إلى الرب » (٤) ، فلم يجد شاول سبيلاً للوصول إلى أغراضه متعاوناً مع الكهنة إلا أن ينضم إلى جماعة التلاميذ وخشيته التلاميذ : « ولما جاء شاول إلى اورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ . وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ » (٥) ، إذ عقدت الدهشة ألسنتهم حتى قالوا : « أليس هذا هو الذى أهلك فى اورشليم الذين يدعون باسم المسيح ،

(١) أعمال الرسل ٨ : ١ - ٣ .

(٢) أعمال الرسل ٨ : ١ .

(٣) أعمال الرسل ٩ : ١ - ٢ .

(٤) أعمال الرسل ١١ : ٢١ .

(٥) أعمال الرسل ٩ : ٢٦ .

وقد جاء إلى هنا لهذا ليسوقهم موثقين إلى رؤساء الكهنة ١٩ ، (١).

وقد ساند به برنابا أحد الرسل فأخذه وأحضره إلى الرسل « وحدثهم كيف أبصر الرب في الطريق وأنه كلمه وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع فكان معهم يدخل ويخرج ويجاهر باسم الرب يسوع » (٢). إلا أن شاول لم يحسن إلى ولي نعمته فحدث بينهما منازعة : « ثم بعد أيام قال بولس لبرنابا لنرجع وتفتقد إخوتنا في كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم. فأشار برنابا أن يأخذا معهم أيضاً يوحنا الذى يدعى مرقس . وأما بولس فكان يستحسن أن الذى فارقهما من بفسيلية ولم يذهب معهم للعمل لا يأخذانه معهم فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر وبرنابا أخذ مرقس وسافر في البحر إلى قبرس » (٣). وكان لبولس سيطرة تامة على الموقف حتى أنه أغلق على برنابا نهائياً ، وقبره وقبر تعاليمه وكتاباتهِ وساد بتعاليمه وكتاباتهِ التى تكون في حجمها ثلثي العهد الجديد .

وكان بولس يقدر على أن يتلون بأى لون ليحظى بالورقة الراجعة ، فلما مدوه للسياط ادعى أنه روماني : « فلما مدوه للسياط قال بولس لقائد المائة الواقف : أيجوز لكم أن تجلدوا إنساناً رومانياً غير مقضى عليه . فإذا سمع قائد المائة ذهب إلى الأمير وأخبره قائلاً : انظر ماذا أنت مز مع أن تفعل ، لأن هذا الرجل روماني . فجاء الأمير وقال له : قل لى : أنت روماني ؟ فقال : نعم . فأجاب الأمير : أما أنا فبمبلغ كبير اقتنيت هذه الرعوية . فقال بولس : أما أنا فقد ولدت فيها . وللوقت تنحى عنه الذين كانوا من معين أن يفحصوه واخشى الأمير لما علم أنه روماني ولأنه قد قيده » (٤).

(١) أعمال الرسل ٩ : ٢١ .

(٢) أعمال الرسل ٩ : ٢٧ — ٢٨ .

(٣) أعمال الرسل ١٥ : ٣٦ — ٣٩ .

(٤) أعمال الرسل ٢٢ : ٢٥ — ٢٩ .

ويصل به الدهاء أنه يتعدى أحكام الناموس القائلة : « لا تنسب الله ولا تلعن رئيساً في شعبك » (١) . إذ حينما أمر حنانيا رئيس السكينة الواقفين عنده أن يضربوه على فمه قال له بولس : « سيضربك الله أيها الخائض الميئس . أفأنت جالس تحكم على حسب الناموس وأنت تأمر بضربى مخالفاً للناموس ؟ فقال الواقفون : أتشتتم رئيس كهنة الله ؟ فقال بولس : لم أكن أعرف أيها الإخوة أنه رئيس كهنة لأنه مكتوب رئيس شعبك لا تقل فيه سوءاً » (٢) .

وإذا تركنا الحادثة على علانها وظننا بهيئة المحاكمة أنها تجملت بسياسة ضبط النفس نلاحظ أن بولس سرعان ما استأثر بالموقف لصالحه لما علم أن قسماً منهم صدوقيون والآخر فريسيون : « صرخ في الجمع أيها الرجال الإخوة أنا فريسي ابن فريسي . على رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم . ولما قال هذا حدثت منازعة بين الفريسيين والصدوقيين وانشقت الجماعة لأن الصدوقيين يقولون إنه ليس قيامة ولا ملاك ولا روح . وأما الفريسيون فيقرون بكل ذلك . فحدث صياح عظيم ونهض كتبة قسم الفريسيين وطفقوا يخاصمون قائلين : لسنا نجد شيئاً ردياً في هذا الإنسان وإن كان روح أو ملاك قد كلمه فلا نخاربن الله » (٣) .

ومن مبادئه أنه جعل نفسه في خدمة الجميع : « فصرت لليهودي كيهودي لأربح اليهودي ، وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس ، وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس ، مع أني لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس للمسيح ، لأربح الذين بلا ناموس » (٤) .

(١) خروج ٢٢ : ٣٨ .

(٢) أعمال الرسل ٢٣ : ٣ - ٥ .

(٣) أعمال الرسل ٢٣ : ٦ - ٩ .

(٤) الرسالة الأولى إلى كورنثوس ٩ : ٢٠ - ٢١ .

ووضع الشريعة المسيحية لتحكم العلاقات الزوجية فقال : « المرأة مرتبطة بالناموس مادام رجلها حياً . ولكن إن مات رجلها فهي حرة لكي تتزوج بمن تريد في الرب فقط ولكنها أكثر غبطة إن لبثت هكذا بحسب رأيي . وأظن أنني أنا أيضاً عندى روح الله ، (١) . كما صرح بلقاء النقيضين في ارتباط شرعى إذ احتج بقوله : « أعلنا ليس لنا سلطان أن نجول بأخت زوجة كباقي الرسل وإخوة الرب وصفا ، (٢) . مع أنه يبحث على الرهينة واعتبر الزوجة هما يشغل كاهل الرجل فيقول : « فأريد أن تكونوا بلا هم . غير المتزوج يهتم فيما للرب كيف يرضى الرب . وأما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضى أمراته » (٣) .

وهذا اللون من الخداع والنفاق لا يمكن كشفه إلا بعد أجيال حين تذهب الفورة وتستقر الأمور في أوضاعها ، وهو ما لمسناه من خديعة عطاء العرب بإسلام المستشرق الإنكليزي لورنس .

وفي مذكرة رسمية من وثائق وزارة الخارجية البريطانية اقترح لورنس أن يصبح الشريف حسين ملكاً على الحجاز ويخلفه ابنه على ، وأن يكون فيصل ملكاً على سورية وزيد ملكاً في شمال العراق وعبد الله ملكاً في جنوب العراق ، ونص الاقتراح : « لا أمل في قيام وحدة عربية ، لا في الحاضر ولا في المستقبل ، وإن التعامل مع العرب يجب أن يكون بواسطة الهاشميين وبواسطة أبناء الحسين بنوع خاص » .

أما رأيه في الصهيونية ، فيبدو في تصريح صحفي له في نوفمبر ١٩١٩ : « إنى أؤيد الصهيونية وأعتبر دخول اليهود إلى الشرق الأوسط خيرية ضرورية جداً للدولة ، ولا بد أنهم سوف يحولون فلسطين إلى دولة منظمة

(١) الرسالة الأولى إلى كورنثوس ٧ : ٣٩ — ٤٠ .

(٢) ١ كو ٩ : ٥ .

(٣) ١ كو ٧ : ٣٢ — ٣٣ .

جداً كأنها دولة أوربية باستخدام مهارتهم ورأس مالهم . لا بد أن يؤدي نجاح مشروعهم إلى رفع مستوى السكان العرب إلى المستوى المادى الذى يتمتع اليهود به . لا بد أن تكون نتائج هذا العمل على درجة بالغة من الأهمية لمستقبل العمل العربى . »

أما حقيقة إسلام لورنس فتظهر بأجلى مظاهرها فى رأيه عن الدكتور وايزمان فى رسالته إلى مطران القدس الإنجليكانى فى سنة ١٩٢٢ ، إذ يقول عنه : « إنه رجل عظيم ، لا تستحق أنت ، ولا أستحق أنا ، أن نمنح حذاءه . »

إن المسيحية والإسلام قد يأتى عليهما زمان تخدعان فيه ، ولكن حين تفتضح الخديعة ، وتتكشف الحقيقة ، يصبح من الواجب العمل على تنقية ما أفسده المفسدون ووضع الأمور فى نصابها الصحيح .

الباب الثالث

البر وتوكل الصّهيوني

« قاتلوهم يعضدهم الله بأيديكم ، ويخزهم
وينصرم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين » .
(التوبة : ١٤)

الفصل الأول

الطقوس اليهودية

ما إن استقر اليهود في دول أوروبا وازداد عددهم ونمت قوتهم بعد طردهم من فلسطين في أول عهد المسيحية تحقيقا لنبوءة المسيح عليه السلام القائلة : « ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش حينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها . حينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال . والذين في وسطها فليفروا خارجا . والذين في الكور فلا يدخلوها . لأن هذه أيام انتقام ليم كل ما هو مكتوب . وويل للجبالي والمرضعات في تلك الأيام لأنه يكون ضيق عظيم على الأرض وسخط على هذا الشعب ويقعون بقم السيف ويُسَبَّحُونَ إلى جميع الأمم وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم (١) . وفي عهد الإمبراطور نيطس العاهل الروماني تم تشتيت بني إسرائيل في أرجاء الإمبراطورية وتدمير الهيكل . وما إن انتشروا أذلاء في الأرض حتى أخذوا يطبقون مازعموه من تعاليم التوراة والتلهود . وكانت حصيلة السلوك اليهودي المعبر عن الحقد والكراهية والاستعلاء والجشع والإجرام ، أن أخذت شعوب أوروبا تدافع عن نفسها أمام البلاء الذي كان يحل عليها مع كل موجة من موجات الهجرة اليهودية .

ولاعجب فبالرغم من أن جميع شعوب الأرض أعطت اليهود فرصة للعيش كسائر الناس في البلاد التي يلبأون إليها ، إلا أن اليهود لم يحسنوا الأمر ، مما اضطر تلك الشعوب أن تفتك بهؤلاء اليهود بعد أن تبين لها الخطر الذي يرافق شعب اليهود ويهدد سكان البلاد الأصليين بالدمار الأخلاقي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي .

وكانت الفترة من القرن الحادى عشر إلى التاسع عشر هى فترة الانتفاضة

الكبرى في تاريخ البشرية ، تذهبت بها شعوب العالم الغربي إلى خطر اليهود ، وفيها أدركت شعوب أوروبا أن اليهود يزورون سيرة المسيح وديانته ويحاربونها ويهدفون إلى القضاء عليها ، وفيها أدركت تلك الشعوب أن الشعب اليهودي لا يمكن أن يعيش مع أى شعب آخر في الوجود إلا على أساس استعباد ذلك الشعب وتسخير عقول أبنائه وأرواحهم ودمائهم وأموالهم في خدمة اليهود ، وأدركت كذلك أن الأعياب اليهود وخططهم الدنيئة تسيطر بيسر على أرواح القادة والزعماء وأقلامهم وآرائهم وتسيرها حسب أغراض اليهود .

وأدركت أن اليهود يسعون إلى القضاء على « الله » واستبدال « يهوه » إله اليهود ورب الجنود به . فإن موسى إذ أراد أن يقنع بنى إسرائيل بأنه رسول الله ناجى ربه قائلا : « ها أنا آتى إلى بنى إسرائيل وأقول لهم : إله آبائكم أرسلنى إليكم . فإذا قالوا الى : ما اسمه ؟ فماذا أقول لهم ؟ فقال الله لموسى : أهيه الذى أهيه ، وقال : هكذا تقول لبنى إسرائيل : أهيه أرسلنى إليكم . وقال الله أيضاً لموسى هكذا تقول لبنى إسرائيل : يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم . هذا اسمى إلى الأبد وهذا ذكرى إلى دور فدور ، (١) . فإذا تتبعنا هذا الاسم « يهوه » نجد أن لإبراهيم حين أطلع الله وامثل للأمر بتقديم ابنه وحيدة ذبيحة على جبل المريا افتدى الله الابن بكبش « فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه ممسكا في الغابة بقرويه . فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضا عن ابنه فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع يهوه يرأه . حتى إنه يقال اليوم في جبل الرب يرى » (٢) . فأطلق إبراهيم على هذا المكان « يهوه يرأه » التى أصبحت رمزاً لله .

(١) تكوين ٢٢ : ١٣ - ١٤ .

(٢) خروج ٣ : ١٣ - ١٥ .

ولقد اتخذ اليهود من شريعة ذبائح الكسفارة والإثم والفداء سبيلاً لجرائمهم باستباحة الذبائح البشرية التي يتقرب بها اليهود إلى إلههم « يهوه » ، ونعلمهم يبررون موقفهم هذا بما فعله يفتاح الجلعادي أحد قضاة بني إسرائيل الذي « نذر نذراً للرب قائلاً : إن رفعت بني عمون ليدي فالحارج الذي يخرج من أبواب بيتي للقاء عند رجوعي بالسلامة من عند بني عمون يكون للرب وأصعده محرقة . . ثم أتى يفتاح إلى المصفاة إلى بيته ، وإذا بابنته خارجة للقاءه وهي وحيدة . . ففعل بها نذره الذي نذره وهي لم تعرف رجلاً ، (١) .

وقد سرت هذه العادة المحرمة المتوحشة إلى اليهود زاعمين أن التوراة والتلمود قد أوضحا طقوساً تستند على شريعة موسى وأنبياء التوراة ويطلقون عليها اسم اكسوتاريك Eksoterik وطقوساً تعتمد على السحر والشعوذة وتسمى إسوتاريك Esoteric أى الطقوس المستترة . وهم يعترفون بهذه الأخيرة ويمارسونها أكثر من الأولى وهذه تدعو إلى المزيد من سفك الدماء . وكان السحرة من اليهود في قديم الزمن يستخدمونها بسفك دم الإنسان من أجل إتمام طقوسهم وشعوذتهم ونددت التوراة بذلك إذ قال إشعياء : « أما أنتم فتقدموا إلى هنا يا بني الساحرة نسل الفاسق والزانية . بمن تسخرون ؟ وعلى من تفغرون الفم وتدلعون اللسان ؟ أما أنتم أولاد المعصية نسل الكذب المتوقدون إلى الأصنام تحت كل شجرة خضراء القاتلون الأولاد في الأودية وتحت شقوق المعازل ، (٢) .

ويجمل بي في هذه المناسبة أن أورد نصوصاً عن طقوس الذبائح والقرايين من التوراة ، فقد جاء في سفر التكوين الإفصاح عن فداء

(١) قضاة ١١ : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٩ .

(٢) إشعياء ٥٧ : ٣ - ٥ .

الإنسان : « وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم فقال له : يا إبراهيم ، فقال : هأنذا ، فقال : خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحق واذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك ، (١). وشاءت عناية الله أن تفتدى الذبيح « فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراه ممسكا فى الغابة بقرنيه . فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضا عن ابنه . فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع يهوه يراؤه حتى إنه يقال اليوم فى جبل الرب يُرى » (٢) .

ومن هذا الفداء رسم موسى عليه السلام شريعة الفصح . وكلمة « الفصح » عبرية ومعناها الاجتياز أو العبور ومعناها بالسريانية « السرور » ، وهى تشير إلى عبور الملوك المهلك عن بيوت الإسرائيليين دون أن يقتل أبكارهم ليلة خروجهم من مصر .

وتذكرا لهذه الحادثة فرض على كل رئيس عائلة منهم أن يختار حملا ذكرا حوليا ، فى اليوم العاشر من شهر نيسان « إبريل » ، ويذبحه فى اليوم الرابع عشر منه . وبعد أن يرش دمه على جدران المذبح يفرس فيه سفودين « أى سيخين » من الحديد ويجوزه الأول طولا والثانى عرضا . ويشوى على تلك الحال على النار . ثم يأكلونه بسرعة وأحقاؤهم بمنطقة وأحذيتهم فى أرجلهم ، وعصيم فى أيديهم إشارة إلى سرعة خروجهم منه ، وإذا بقى منه شيء أحرق بالنار مع عظامه التى نهرا عن كسرهما :

« فدعا موسى جميع شيوخ إسرائيل وقال لهم اسحبوا وخذوا لكم غنما بحسب عشائركم واذبحوا الفصح . وخذوا باقة زوفا واغسوها فى الدم الذى فى الطست ومسوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذى فى الطست .

(١) تكوين ٢٢ : ١ - ٢ .

(٢) تكوين ٢٢ : ١٣ - ١٤ .

وأنتم لا تخرج أحد منكم من باب بيته حتى الصباح . فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبر الرب عن الباب ولا يدع المملاك يدخل بيوتكم ليضرب . فتحفظون هذا الأمر فريضة لك ولأولادك إلى الأبد ، (١) .

• وقال الرب لموسى وهرون : هذه فريضة الفصح . كل ابن غريب لا يأكل منه . ولكن كل عبد رجل مبتاع بفضة تحتنه ثم يأكل منه . الزبيل والأجير لا يأكلان منه . في بيت واحد يؤكل لا تخرج من اللحم من البيت إلى خارج . وعظما لا تكسروا ، (٢) .

وكانت مدة عيد الفصح سبعة أيام أولها وأقدسها الخامس عشر من نيسان • إبريل ، وكان عليهم في اليوم السادس عشر أن يقدموا باكورة حصادهم حزمة من القمح أو الشعير مع حمل صحيح حولي لتقديس الحصاد . أما في بقية أيام العيد فكان عليهم أن يقدموا ذبائح شتى للتكفير عن خطاياهم .

وقد ورد بيان تفصيلي عن الذبائح والتقدمات استوعب اصحابين من سفر العدد وهما الأصحاب الثامن والعشرون والتاسع والعشرون .

وقد اعتبرت الكنيسة أن خروف الفصح اليهودي رمز للمسيح الفصح الذي قال عنه بولس : • لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا ، (٣) .

وجاء في التوراة ذبائح للتعبير عن الشكر :

وبدأت أول ذبيحة في الأرض يوم أن • قدم هايل من أبكار غنمه

(١) خروج ١٢ : ٢١ - ٢٤ .

(٢) خروج ١٢ : ٤٣ - ٤٦ .

(٣) ١ كو ٥ : ٧ .

ومن سمانها ، فنظر الرب إلى هايل وقربانه ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر فاغناظ قايين جداً وسقط وجهه ، (١) .

ثم أتبعها نوح بذبائح بعد أن استقر الفلك على الأرض وخرج كل من وما بالفلك إلى الأرض : « فبنى نوح مذبحاً للرب . وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح . فتنسم الرب رائحة الرضا ، (٢) .

ثم شرع الله لبني إسرائيل طقوس الذبائح والقرايين : « ودعا الرب موسى وكله من خيمة الاجتماع قائلاً : كلم بني إسرائيل وقل لهم : إذا قرب إنسان منكم قرباناً للرب من البهائم فمن البقر والغنم تقربون قرايينكم . إن كان قربانه محرقة من البقر فذكرا صحيحا يقربه . إلى باب خيمة الاجتماع يقدمه للرضا عنه أمام الرب . ويضع يده على رأس المحرقة فيرضى عليه للتكفير عنه . ويذبح العجل أمام الرب ويقرب بنو هارون السكينة الدم ويرشون الدم مستديراً على المذبح الذى لدى باب خيمة الاجتماع . ويسلخ المحرقة ويقطعها إلى قطعها . ويجعل بنو هارون الكاهن ناراً على المذبح ويرتبون حطباً على النار . ويرتب بنو هارون السكينة القطع مع الرأس والشحم فوق الحطب الذى على النار التى على المذبح . وأما أحشاؤه وأكارعه فيغسلها بماء ويوقد الكاهن الجميع على المذبح محرقة وقود رائحة سرور للرب ، (٣) .

ونأخذ شريعة الذبائح عن الشكر الاصحاحين الأول والثالث من سفر اللاويين ، ثم شريعة التقدمة الاصحاح الثانى من سفر اللاويين ،

(١) تكوين ٤ : ٢ - ٥ .

(٢) تكوين ٨ : ٢٠ - ٢١ .

(٣) اللاويين ١ : ١ - ٩ .

ثم طقوس شريعة ذبيحة الخطأ والسهو الإصحاح الرابع والخامس من سفر اللاويين، ثم طقوس شريعة ذبيحة الإثم والسلامة الإصحاح السابع من سفر اللاويين . ويوصى موسى بقوله : « والنار على المذبح تتقد عليه . لا تطفأ ويشعل عليها الكاهن خطباً ككل صباح ويرتب عليها المحرقة ويوقد عليها شحم ذبائح السلامة . نار دائمة تتقد على المذبح لا تطفأ ، (١) .

ومثل هذه النار المتقدة دائماً تذكرنا بما صحب مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم من آيات اهتزت لها جوانب الوجود ، فارتج لولادته إيوان كسرى وتداعى البليان ، وجفت بحيرة ساوة ، وغاض منها الماء ، وأخذت لفارس من فوره النار . فكان هذا من إرهاصات النبوة التي تعد الأذهان لقبول ما بعدها من أمر عظيم وشأن خطير . لقد خمدت من نور محمد صلى الله عليه وسلم نار فارس فلا أقل من أن تخمد نار إسرائيل ! ! لقد صورت التوراة في شريعة الطقوس والذبائح والقرايين الإله بأنه اختص بهم دون سواهم وأنه تراح وتنتعش نفسه من رائحة الدخان المتصاعد من المحرقات ، وأنه يغضب كل الغضب إذا لم تقدم إليه في الصورة التي يرضاها ، أو إذا قدمت إليه في صورة غير الصورة المقررة في شريعتهم ، وأنه قد يصب غضبه حينئذ على المقصرين فيرسل عليهم ناراً تحرقهم :

« وأخذ ابنا هارون ناداب وابيهو كل منهما بمحرته وجعلا فيهما ناراً غريبة ووضعاً عليها بخوراً وقرباً أمام الرب ناراً غريبة لم يأمرهما بها فخرجت نار من عند الرب وأكلتهما فماتا أمام الرب ، (٢) .

ويرد القرآن الكريم على مزاعمهم هذه بقوله تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم

(١) اللاويون ٦ : ١٢ - ١٣ .

(٢) لاويون ١٠ : ١ - ٢ .

لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين ، (١) ، وإذ يقول عز وجل في هدى الحج من الأنعام : « فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » ، (٢) .

كانت الحروب قائمة ضد إسرائيل ، وانتظر شاوول الملك أن يقدم صموئيل النبي المحرقة وذبائح السلام ، ولما تباطأ صموئيل النبي « قال شاوول : قدموا إليّ المحرقة وذبائح السلامة ، فأصعد المحرقة » ، (٣) . « فقال صموئيل لشاوول : قد انعمت لم تحفظ وصية الرب إلهك التي أمرك بها لأنه الآن كان الرب قد ثبت مملكتك على إسرائيل إلى الأبد ، وأما الآن فمملكتك لا تقوم . قد انتخب الرب لنفسه رجلا حسب قلبه وأمره الرب أن يترأس على شعبه . لأنك لم تحفظ ما أمرك به الرب » ، (٤) ، « وقال صموئيل : هل مسرة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب . هوذا الاستماع أفضل من الذبيحة والإصغاء أفضل من شحم الكباش . لأن التمرد كخطية العرافة . والعناد كالوثن والترفيم . لأنك رفضت كلام الرب رفضك من الملك » ، (٥) .

أما بشأن ذبيحة الخطية فقد أوصى بها موسى كما جاء في سفر العدد : « وكلم الرب موسى وهارون قائلا : هذه فريضة الشريعة التي أمر بها الرب قائلا : كلم بني إسرائيل أن يأخذوا إليكم بقرة حمراء صحيحة لا عيب فيها ولم يعمل عليها نير . فتعطونها لألعازار الكاهن فتخرج إلى خارج المحلة ، وتذبح قدامه ويأخذ ألعازار الكاهن من دمها بأصبعه وينضح من دمها إلى جهة وجه خيمة الاجتماع سبع مرات . وتحرق البقرة أمام عينيه يحرق جلدها ولحمها ودمها مع فرثها ويأخذ الكاهن خشب أرز وزوفا وقرمزا ويطرحهن في وسط حريق البقرة ثم يغسل الكاهن ثيابه ويرحض جسده

(١) الحج : ٣٧ .

(٢) الحج : ٢٨ .

(٣) ١ صم ١٣ : ٩ .

(٤) ١ صم ١٣ : ١٣ - ١٤ .

(٥) ١ صم ١٥ : ٢٢ - ٢٣ .

بماء . وبعد ذلك يدخل المحلة ويكون الكاهن نجسا إلى المساء . والذي أحرقها يغسل ثيابه بماء ويرحض جسده بماء ويكون نجسا إلى المساء . ويجمع رجل طاهر رماد البقرة ويضعه خارج المحلة في مكان طاهر فتكون جماعة بني إسرائيل في حفظ ماء نجاسة . إنها ذبيحة خطية . والذي جمع رماد البقرة يغسل ثيابه ويكون نجسا إلى المساء . فتكون لبني إسرائيل وللغريب النازل في وسطهم فريضة دهرية ، (١) .

أما بشأن ذبيحة الكفارة فقد أوصى بها موسى عليه السلام كما جاء في سفر العدد : « وكلم الرب موسى قائلا : قل لبني إسرائيل : إذا عمل رجل أو امرأة شيئا من جميع خطايا الإنسان وخان خيانة بالرب ، فقد أذنبت تلك النفس فلتقرر بخطيتها التي عملت وترد ما أذنبت به بعينه وترد عليه خمسة وتدفعه للذي أذنبت إليه . وإن كان ليس للرجل ولي ليرد إليه المذنب به فالمذنب به المردود يكون للرب لأجل الكاهن فضلا عن كبش الكفارة الذي يكفر به عنه . وكل ربيعة مع كل أقداًس بني إسرائيل التي يقدمونها للكاهن تكون له . والإنسان أقداًسه تكون له . إذا أعطى إنسان شيئا للكاهن فله يكون ، (٢) .

ويوضح العهد الجديد أن هذه الذبائح لا تستطيع ألبة أن تنزع الخطية ،

إذ يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين : « وكل كاهن يقوم كل يوم يخدم ويقدم مراراً كثيرة تلك الذبائح عنها التي لا تستطيع ألبة أن تنزع الخطية . أما هذا (المسيح) فبعد ما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس إلى الأبد عن يمين الله ، (٣) .

ويقول أيضاً : « وأما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة

(١) عدد ١٩ : ١ - ١٠ .

(٢) عدد ٥ : ٥ - ١٠ .

(٣) العبرانيون ١٠ : ١١ - ١٢ .

فبالمسكن الأعظم والأكل غير المصنوع بيد ، أى الذى ليس من هذه الخليقة وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداء أبدياً ، لأنه إن كان دم ثيران و تيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يقدس إلى طهارة الجسد فكيف بالحرى يكون دم المسيح الذى بروح أزلى قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتتخذوا الله الحى ، (١) .

ويقول كذلك كاتب الرسالة إلى العبرانيين : « فإنه لو كان ذلك الأول بلا عيب لما طلب موضع لثان . لأنه يقول لهم دائماً : هوذا أيام تأتى يقول الرب : حين أكمل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً . لا كالعهد الذى عملته مع آبائهم يوم أمسكت بيدهم لأخرجهم من أرض مصر لأنهم لم يثبتوا فى عهدي وأنا أهملتهم يقول الرب . لأن هذا هو العهد الذى أعده مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب أجعل نواويسى فى أذهانهم وأكتبها على قلوبهم وأنا أكون لهم إلهاً وهم يكونون لى شعباً » (٢) .

ويرى علماء اللاهوت بأن نبوءة إشعياء القائلة : « قومي استنيرى لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك لأن هاهى الظلمة تغطى الأرض والظلام الدامس الأمم . أما عليك فيشرق الرب ومجده عليك يرى تفسير الأمم فى نورك والملوك فى ضياء إشرافك » (٣) تنطبق على المسيح ورسالته على الأرض هى رسالة السلام ومعرفة الله أنه « روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » (٤) ، ومعرفته الذاتية أنه إنسان : « أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعته من الله » (٥) .

(١) العبرانيون ٩ : ١١ - ١٤ .

(٢) العبرانيون ٨ : ٧ - ١٠ .

(٣) إشعياء ٦٠ : ١ - ٣ .

(٤) يوحنا ٤ : ٢٤ .

(٥) يوحنا ٨ : ٤٠ .

لقد كانت فرائض الذبائح والقرايين سبباً من أسباب إيجاد فرقة المنبوذين، فإن موسى عليه السلام أمر بعزل المنجسين حتى يتطهروا كما جاء في سفر العدد : « وكلم الرب موسى قائلاً : أوص بني إسرائيل أن ينفوا من المحلة كل أبرص وكل ذى سيل وكل متنجس لميت . الذكور والأنثى تنفون إلى خارج المحلة تنفونهم لكيلا ينجسوا محلاتهم حيث أنا ساكن في وسطهم . ففعل هكذا بنو إسرائيل ونفوهم إلى خارج المحلة كما كلم الرب موسى هكذا فعل بنو إسرائيل » (١) .

ولكى يرتقى المنبوذ أو المعزول إلى درجة الامتزاج ببني جلدته وقومه ينبغي له من الطهارة ومن طقوس الذبائح بأنواعها ذبيحة الشكر وذبيحة الفداء وذبيحة الإثم وذبيحة الكفارة طقوساً للتطهير فيوصى موسى بني إسرائيل بقوله : « فياخذون للنجس من غبار حريق ذبيحة الخطية ويجعل عليه ماء حياً في إناء . وياخذ رجل طاهر زوفاً ويغمسها في الماء وينضجه على الخيمة وعلى جميع الأمتعة وعلى الأنفس الذين كانوا هناك وعلى الذى مس العظم أو القتل أو الميت أو القبر ينضح الطاهر على النجس فى اليوم الثالث واليوم السابع ويطهره فى اليوم السابع فيغسل ثيابه ويرحض بماء فيكون طاهراً فى المساء . وأما الإنسان الذى يتنجس ولا يتطهر فتباد تلك النفس من بين الجماعة لأنه نجس مقدس الرب . ماء النجاسة لم يرش عليه . لأنه نجس فتكون لكم فريضة دهرية والذى رش ماء النجاسة يغسل ثيابه والذى مس ماء النجاسة يكون نجساً إلى المساء . وكل هامسه النجس يتنجس والنفس التى تمس تكون نجسة إلى المساء » (٢) .

هذه الطقوس لم تقرب بني إسرائيل إلى الله بل باعدت بينهم وبين الله

(١) عدد ٥ : ١ — ٤ .

(٢) عدد ١٩ : ١٧ — ٢٢ .

فيقول إشعياء : « اسمعى أيتها السموات وأصغى أيتها الأرض لأن الرب يتكلم . ربيت بنين ونشأتهم أما هم فعصوا على . الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه أما إسرائيل فلا يعرف . شعبي لا يفهم . ويل للأمم الخاطئة الشعب الثقيل الإثم نسل فاعلى الشر أولاد مفسدين . تركوا الرب استهانوا بقدوس إسرائيل ارتدوا إلى وراء ، (١) .

ثم يندد بأعمالهم ويكشفها لهم وللأجيال بقوله : « لا تعودوا تاتون بتقدمة باطلة . البخور هو مكرهة لى . رأس الشهر والسبت ونداء المحفل . لست أطيق الإثم والاعتكاف . زهوس شهورك وأعيادكم بغضتها نفسى . صارت على ثقلا مللت حملها . خين تبسطون أيديكم أستر عيني عنكم وإن كثرت الصلاة لا أسمع . أيديكم ملآنة دماً .

« اغتسلوا تنقوا اعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني كفوا عن فعل الشر تعلموا فعل الخير . اطلبوا الحق . أنصفوا المظلوم اقضوا لليتم حاموا عن الأرملة ... إن شتمت وسمعتن تأكلون خير الأرض وإن أبيتهم وتمردتم تؤكلون بالسيف لأن فم الرب تكلم ، (٢) .

ويقرر بولس فى رسالته إلى رومية جزاء الترد والعصيان فيقول : « لأن غضب الله معان من السماء على فجور الناس وإثمهم الذين يحجزون الحق بالإثم .. الذين استبدلوا حق الله بالكذب .. اذلك أسلمهم الله إلى أهواء الهوان ، (٣) . وتحول إسرائيل عن التوراة إلى التلمود الذى يتفق ونزعاتهم ومثلهم فى ذلك مثل شاول لما تخلى عنه الله : « ولما رأى شاول

(١) إشعياء ١ : ٢ — ٤

(٢) إشعياء ١ : ١٣ — ٢٠ .

(٣) رومية ١ : ١٨ ، ٢٥ — ٢٦ .

جيش الفلسطينيين خاف واضطرب قلبه جداً ، فسأل شاول من الرب فلم يجبه الرب لا بالأحلام ولا بالأوريم ولا بالأنبياء . فقال شاول لعيده : فتشوا لى على امرأة صاحبة جان فأذهب إليها وأسألها ، (١) .

واحتال على امرأة صاحبة جان حتى أخرجت له روح صموئيل : فقال صموئيل لشاول : لماذا أفلقتنى بإصعادك إياى ؟ فقال شاول : قد ضاق بى الأمر جداً . الفلسطينيون يحاربونى والرب فارقتى ولم يعد يجيبنى لا بالأنبياء ولا بالأوريم ولا بالأحلام فدعوتك لىكى تعلمنى ماذا أصنع . فقال صموئيل : ولماذا تسألنى والرب قد فارقتك وصار عدوك . وقد فعل الرب لنفسه كما تكلم عن يدى وقد شق الرب المملكتك من يدك وأعطاهما لقريبك داود . لأنك لم تسمع لصوت الرب ويدفع الرب إسرائيل أيضاً معك ليد الفلسطينيين ، (٢) .

وقد اعترف المؤرخ اليهودى برنارد لازار Bernard Lazare فى كتابه L'Anti - semitisme « اللاسامية » بأن عادة ذبح الأطفال ترجع إلى استخدام دم الأطفال من قبل السحرة اليهود فى الماضى .

ويقول الجنرال جواد رفعت أتيل خان ، فى كتابه « البرميل الإبرى » (٣) : « إن حوادث الدم البشرى مفاهيم انتشرت بين عامة الشعب وهى ليست خرافة . والحقيقة أن جيل الشباب من اليهود يهتم كثيراً بعلوم السحرة والشعوذة . والتلمود يبحث عن السحر والشياطين بغموض كبير ، ولهذا فإن الطبيعى أن تستعمل الدماء خلال طقوسهم الدينية ، ومن المحتمل أن يكون سحرة اليهود قد ذبحوا أطفالاً من غير

(١) ١ ص ٢٨ : ٣ - ٧ .

(٢) ١ ص ٢٨ : ١٥ - ١٩ .

(٣) طبعة استانبول سنة ١٩٥٨ ، والعبارات من ترجمة المجاهد فاروق حمود .

اليهود ليستفيدوا من دماهم . وهكذا فإن هذه الحوادث تعتمد على هذا الأساس .

ويقول ج . كيتو Kitto في كتابه « مجموعة الكتاب المقدس » الذي نشر في عام ١٨٩٥ : « إن محاريهم ملطخة بالدماء التي سفكت من عهد إبراهيم حتى سقوط مملكة إسرائيل ويهوذا » .

ويقول المسيح عليه السلام : « ويل لكم لأنكم تبنون قبور الأنبياء وأبائكم قتلوهم . إذا تشهدون وترضون في أعمال آبائكم . لأنهم قتلوهم وأنتم تبنون قبورهم . لذلك أيضاً قالت حكمة الله إني أرسل إليهم أنبياء ورسلاً فيقتلون منهم ويطرودن ، لكي يطلب من هذا الجيل دم جميع الأنبياء المهرق منذ إنشاء العالم من دم هابيل إلى دم زكريا الذي أهلك بين المذبح والبيت . نعم أقول لكم إنه يطلب من هذا الجيل » (١) .

ويشكو إيليا قائلاً : « قد غرت غيرة للرب إله الجنود لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدهك ونقضوا ميثاقك وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي لياخذوها » (٢) .

وتقرر التوراة مدى انحراف بني إسرائيل عن أحد ملوك يهوذا : « كان منسى ابن اثنتي عشرة سنة حين ملك ، وملك خمسا وخمسين سنة في اورشليم ، واسم أمه حفصية ، وعمل الشر في عيني الرب حسب رجاسات الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل ، وعاد فبني المرتفعات التي أبادها حزقيا أبوه وأقام مذابح للبعل وعمل سارية كما عمل آخاب ملك إسرائيل وسجد لكل جند السماء وعبدها ، وبني مذابح في بيت الرب

(١) لوقا ١١ : ٤٧ — ٥١ .

(٢) ملوك أول ١٩ : ١٠ .

الذى قال الرب عنه : فى اورشليم أضع اسمى ، وبنى مذابح لكل جند السماء فى دارى بيت الرب وعبر ابنه فى النار وعاف وتفاءل واستخدم جانا وتوابع وأكثر عمل الشر فى عينى الرب لإغاظته ، ووضع تمثال السارية التى عمل فى البيت الذى قال الرب عنه لداود وسليمان ابنه : فى هذا البيت وفى اورشليم التى اخترت من جميع أسباط إسرائيل أضع اسمى إلى الأبد ، (١).

ويقول ج. ا. دورزى Dorsey فى كتابه Civilization إن معابدهم فى القدس مخيفة بشكل يفوق معابد الهنود والسحرة ، وهى المراكز التى تقع داخلها جرائم القرايين البشرية .

وجاء فى صفحة ٦٥٣ من الجزء الثامن من دائرة المعارف اليهودية Jewish Encyclopedia طبعة ١٩٠٤ :

« إذا كان هناك من أساس أقر من قبل الحكماء فهو حقيقة القرايين البشرية التى تقدم للإله يهوه ملك الأمة والتى بوشر فى تقديمها أواخر عهد الملكية اليهودية » .

وقد نقل الدكتور الألمانى أريك بسكوف Dr. Erich Bischoff المتخصص بدراسة تعاليم اليهود وتمحيصها عن كتاب يهودى اسمه Thikume Zohar « أن من حكمة الدين وتوصياته قتل الأجانب الذين لا فرق بينهم وبين الحيوانات ، وهذا القتل يجب أن يتم بطريقة شرعية ، والذين لا يؤمنون بتعاليم الدين اليهودى وشرعية اليهود يجب تقديمهم قرايين إلى إلهنا الأعظم » ، (٢) .

(١) ٢ مل ٢١ : ١ - ٧ .

(٢) Jewish Ritual Murder Arnold Leese. London 1938. (٢)

واعترف السير رتشارد بورتون Sir Richard Burton الذى درس التلمود وعلاقته بغير اليهود ، فى كتابه « اليهود ، النور ، والإسلام » الذى نشر سنة ١٨٩٨ بقوله فى صفحة ٧٣ :

« إن أهم نقطة فى المعتقدات اليهودية الحديثة هى أن الأجانب أى الذين لا ينتمون إلى الدين اليهودى ليسوا سوى حيوانات متوحشة حقوقها لا تزيد عن حقوق الحيوانات الهائمة فى الحقول » ، وعلى الصفحة ٨٠ من الكتاب نفسه يقول : « يقول التلمود عندنا مناسبتان دمويتان ترضيان إلحنا يهوه إحداهما عيد الفطائر الممزوجة بالدماء البشرية والأخرى مراسيم ختان أطفالنا » . ولل يهود عيدان مقدسان لا تتم الفرحة فيهما إلا بتناول الفطير الممزوج بالدماء البشرية :

الأول عيد الفوريم وهو فى مارس من كل سنة والثانى عيد الفصح وهو فى إبريل من كل سنة ويواجه عيد الفصح عند المسيحيين Easter أما عيد الفوريم فيرمز إلى قصة اليهودية الجميلة استير المذكورة فى التوراة وكيف أنها أقنعت ملك الفرس بالسماح لليهود بقتل وزيره هامان وذبح عشرات الألوف من بنى قومه بما فيهم الأطفال والشيوخ والنساء بحجة أن هامان كان ينوى ذبح اليهود ، وتحيا فى هذا العيد ذكرى استير وجرائمهم الوحشية ضد الفرس .

وتقول التوراة : « لأننا قد بعنا أنا وشعبى للهلاك والقتل والإبادة ولو بعنا عبيدا وإماء لكنك سكت مع أن العبد لا يعوض عن خسارة الملك » (١) . ويمنحها الملك أحشويرس أمراً بإبادة هامان وأسرته وحاشيته : « فضرب اليهود جميع أعدائهم ضربة سيف وقتل وهلاك وعملوا بمغضبيهم ما أرادوا » (٢) . ثم استنوا لأنفسهم عيد الفوريم : « وكتب مردخاى هذه

(١) استير ٧ : ٤ .

(٢) استير ٩ : ٥ .

الأمور وأرسل رسائل إلى جميع اليهود الذين في كل بلدان الملك أحشوريش القرييين والبعيدين ليوجب عليهم أن يعيدوا في اليوم الرابع عشر من شهر آذار ، مارس ، واليوم الخامس عشر منه في كل سنة حسب الأيام التي استراح فيها اليهود من أعدائهم والشهر الذي تحول عندهم من حزن إلى فرح ومن نوح إلى يوم طيب ليجعلوها أيام شرب وفرح وإرسال أنصبة من كل واحد إلى صاحبه وعطايا للفقراء ، (١) ، ولأن هامان بن همدانا الأجاجى عدو اليهود جميعا ، تفكر على اليهود لبيدهم وألقى فوراً أى قرعة لإفنائهم وإبادتهم وعند دخولها إلى أيام الملك أمر بكتابة أن يرد تديبره الردى الذى دبره ضد اليهود على رأسه وأن يصـلبوه هو وبنيه على الخشبة ، لذلك دعوا تلك الأيام فوريم على اسم الفور لذلك من أجل جميع كلمات هذه الرسالة وما رأوه من ذلك وما أصابهم أوجب اليهود وقبلوا على أنفسهم وعلى نسلهم وعلى جميع الذين يلتصقون بهم حتى لا يزول أن يعيدوا هذين اليومين حسب كتابتهما وحسب أوقانهما كل سنة ، وأن يذكر هذان اليومان ويحفظا في دور فدور ، وعشيرة فعشيرة ، وبلاد فبلاد ، ومدينة فمدينة ، ويوما الفور هذان لا يزولان من وسط اليهود وذكرهما لا يفنى من نسلهم ، (٢) .

إن شعب اليهود أين كانوا سبب قلاقل في البلاد التي أكرمهم ، ففي بابل تسببوا في إبادة شخصيات على مستوى « هامان » ، ثانى رجل في المملكة ، وفي مصر ماذا فعلوا ؟ إن موسى كما تزعم التوراة يلبثهم بأن الله أعطى نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين ، فيكون حينئذ تمضون أنسكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جاريتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلمون المصريين ، (٣) .

(١) استير ٩ : ٢٠ - ٢٢ .

(٢) استير ٩ : ٢٤ - ٢٨ .

(٣) خروج ٣ : ٢١ - ٢٢ .

وحينما أفاقت شعوب أفريقيا وآسيا وأوروبا من غفوتها هبت ترد
العدوان وتدفع الخطر قبل أن يستفحل الداء العضال ويستشري السرطان
اليهودى فيفتك بأجسام ملايين البشر ويحولهم إلى عبيد لخدمة الشعب
المختار . ونال اليهود بعد تلك الصحوّة جزاءهم الأوّفى .

ففى مصر :

تمسكن منفتاح سابع سنة ١٢١٨ ق.م من طردهم نهائيا من أراضى
الدلتا .

وفى فارس :

صرح كورش ملك فارس بعودتهم إلى بلادهم فى السنة الأولى لكورش
ملك فارس عند تمام كلام الدين بفهم إرميا نبه الرب روح كورش ملك فارس
فأطلق نداء فى كل مملكته وبالكتابه أيضاً قائلاً : هكذا قال كورش ملك
فارس . جميع ممالك الأرض دفعها لى الرب إله السماء وهو أوصانى أن
أبنى له بيتا فى أورشليم التى فى يهوذا . من منكم من كل شعبه ليكن إلهه معه
ويصعد إلى أورشليم التى فى يهوذا فيبنى بيت الرب إله إسرائيل . هو الإله
الذى فى أورشليم ، (١) . وكان ذلك سنة ٥١٦ ق.م .

وفى بريطانيا :

أصدر الملك إدوارد الأول سنة ١٢٩٠م مرسوما يقضى بطرد اليهود
من بريطانيا فى غضون ثلاثة أشهر ، إلا أنهم شرعوا يتسللون إلى البلاد
تحت حماية كرومويل معلنين يهوديتهم سنة ١٦٥٦ ثمناً للرشوة التى قدموها
إلى ذلك الطاغية الإنجليزى وأسسوا أول جمعية ليهود الإشكناز

سنة ١٦٩٢ (١) . وهكذا كان التغلغل اليهودى التدريجى فى الحياة البريطانية فى فترة الغفلة التى أعقبت حكم كرومويل وغلبت فيها سياسة التغاضى عن خطط اليهود الشريرة .

وفى فرنسا :

ألغى لويس التاسع ثلث ما كان لهم من ديون على الحكومة والكنائس . وأفراد الشعب ، ثم أصدر أمراً ماسكياً بحرق جميع كتبهم وخاصة التلمود . وطردها من جديد فى عهد فيليب الجميل وأصابهم من القتل والنهب شئ كثير ثم عادوا إلى البلاد . وفى سنة ١٣٤١ م هاج الشعب فى أواسط فرنسا وذبحوا من اليهود أعداداً كبيرة وطردهم . ولم تأت سنة ١٣٩٤ م وفى

فرنسا يهودى واحد - London Golding - The Jewish problem - Hazell - London 1939 .

وفى الثورة الفرنسية سنة ١٧٩٠ م استغلوا ميرابو فدافع عن حقهم فى المساواة بسائر السكان ، ثم حاول نابليون بونابرت استغلالهم لمساعدته على تحقيق أطماعه التوسعية فى الشرق العربى . ثم مالبث النفوذ اليهودى أن تغلغل فى فرنسا بعد براءة الضابط اليهودى (دريفوس) من تهمة الخيانة العظمى لنقله الأسرار العسكرية إلى ألمانيا سنة ١٨٩٤ بعد أن كان قد حكم عليه بالإعدام فى المحاكمة الأولى . ومنذ أواخر القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا غدت فرنسا عميلة مسخرة لتحقيق أهداف الصهيونية واليهودية العالمية .

(١) اليهود الإسكناز هم الذين نزحوا إلى شمال شرق آسيا بعد خراب القدس سنة ٧٠ م واستقروا فى روسيا وشرقها وجنوبها وامتزجوا بالمقول ، ثم نزحوا إلى الغرب واستقروا فى بولندا وألمانيا وبريطانيا .

ويهود السفارديم هم الذين استقروا حول حوض البحر المتوسط .

في ألمانيا :

عاش اليهود حياتهم الانطوائية مستعلين على الألمان لا يختلطون بهم باعتبارهم Gintiles ، كفارا ملحدين ، — والشعب الألماني يمتاز بالتدين الأصيل ومسيحيته العميقة المتحررة — فنظر إليهم هتلر متوجسا منهم خيفة وعمل على إبادتهم في فترة حكمه من سنة ١٩٣٣ إلى سنة ١٩٤٥ ولم يفعل بهم أكثر مما فعله فرعون مصر يوم أجلاهم عن البلاد .. ولا أكثر مما فعله نبوخذ نصر يوم دمر هيكلهم وبطش بهم وسباهم إلى بابل سنة ٥٨٦ ق. م. ولا أكثر من الإمبراطور تيطس يوم أن دمر الهيكل وأحرق أورشليم وسباهم إلى أراضى الإمبراطورية الرومانية ، كوسيلة وحيدة للحد من تأمرهم وأحقادهم على المسيحية في أول عهدا ١١

في أسبانيا :

وصلت موجة البطش باليهود أوجها في عهد الملك فرديناند وزوجته إيزابلا فأصدر الملك مرسوما في ٣١ مارس سنة ١٤٩٢ نص على ما يأتي : « يعيش في مملكتنا عدد غير قليل من اليهود . ولقد أنشأنا محاكم التفتيش منذ اثنتى عشرة سنة ، وهى تعمل دائماً على توقيع العقوبة على المذنبين . وبناء على التقارير التى رفعتها لنا محاكم التفتيش ثبت بأن الصدام الذى يقع بين المسيحيين واليهود يودى إلى ضرر عظيم ، ويؤدى بالتالى إلى القضاء على المذهب الكاثوليكي . ولذا قررنا نفي اليهود ذكورا وإناثا خارج حدود مملكتنا وإلى الأبد . وعلى اليهود جميعا الذين يعيشون فى بلادنا — ومن غير تمييز فى الجنس أو الأعمار — أن يغادروا البلاد فى غضون فترة أقصاها نهاية يوليو من نفس العام وعائهم ألا يحاولوا العودة تحت أى ظرف أو أى سبب ، (١) .

في بقية دول أوروبا :

وكذلك وقع لليهود اضطهادات في كل من روسيا وبولندا وإيطاليا وبلغاريا وسويسرا وهنغاريا . والمذابح التي وقعت لهم في روسيا على مر الأزمنة وفي مختلف العصور يعجز القلم عن وصفها .

وفي إيطاليا :

حاربهم البابوات وأصدروا المراسيم العديدة لتكفيرهم وتسفيه ديانتهم المرتكزة على التلمود . وفي سنة ١٢٤٢ أعلن البابا جريجورى التاسع اتهامات صريحة ضد التلمود الذى يطعن في المسيح والمسيحية وشكل البابا لجنة لفحص الاتهامات فأقرت اللجنة التهمة وأمرت بحرق التلمود .

وضاق الشعب بأخلاق اليهود ووقاحتهم وجشعهم فنار عليهم مرات عديدة وفي أماكن مختلفة من البلاد وخاصة في نابولى التي فتك بهم شعبها وطرد البقية الباقية منهم سنة ١٥٤٠ م (١) .

لقد ذبح اليهود وأحرقوا ونكل بهم وشردوا قبل مئات السنين من ظهور النازية وحكم هتلر . والجرائم التي نسبت لليهود في كل زمان ومكان واحدة لم تتغير : الجشع والسرقة وامتصاص دم الشعب البريء وتدمير الأوطان سياسيا واقتصاديا وأخلاقيا وعسكريا ، والتآمر مع الأعداء ومحاربة القيم الأخلاقية ، والتشكك في كل دين يتعارض مع ديانتهم الممجبة المبنية على التلمود ومقررات حكماء صهيون ، واستنزاف دم الأطفال من غير اليهود لاستخدام دمائهم في فطير عيد الفصح ، وتسليم الآبار وتزييف العملة وتشكيل الجمعيات السرية التابعة للماسونية العالمية ونشر الفوضى والانحلال والإباحية .

الفصل الثاني

الحكومة اليهودية العالمية

دفعت التعاليم اليهودية الواردة في التوراة « العهد القديم » وفي التلمود اليهود إلى السعى الدائم من أجل السيطرة على العالم وتسخير خدمته الشعب المختار !

ومن أجل تحقيق أهدافهم الشريرة أنشأوا الجمعيات والمنظمات التي تولت أمر التخطيط ورسم الطريق أمام اليهود للوصول إلى أهدافهم اللامعقولة .

ويكون اليهود في العالم حكومة مستورة يديرها ٣٠٠ عضو من أطلقوا على أنفسهم لقب حكماء صهيون ، ينتخبون دائماً شخصاً يعتبرونه ملكاً وارثاً للملك داود وسليمان ولا يعلنون عن اسمه ، وكلما توفي ملك عينوا بدله من بين أحبار اليهود .

ولا يخفى اليهود خططهم هذه واعترف بها كثير من كتابهم ورجال الدين والمال فيهم . وقد ذكر المليونير اليهودي ولتر راثنو Walter Rathenau في جريدة ألمانية The Wiener Press بتاريخ ١٩٠٩/١٢/٢٥ :

« هناك ٣٠٠ رجل كل منهم يعرف جميع زملائه الآخرين ، يتحكمون في مصير أوربا . لأنهم ينتخبون خلفاءهم من الأشخاص المحيطين بهم ، وهؤلاء اليهود يملكون الوسائل التي تمكنهم من القضاء على أية حكومة لا يرضون عنها » (١) .

ولقد شبه اليهود أنفسهم حكومتهم المستورة بالافعى السامة التى بدأ زحف رأسها الميت من فلسطين بعد خراب الهيكل سنة ٧٠ م ، لتخريب العالم ، وذنبا باق فى فلسطين ولا يعود الرأس للالتقاء بالذنب إلا بعد تدمير العالم والتربيع على أنقاضه تحت حكم ملك يهودى يحكم العالم من القدس .

ولما كانت الحكومة اليهودية المستورة غير قادرة على التحكم فى مصائر الشعوب والحكومات مادام هناك دين أو أخلاق ، فقد كان من أول أعمال تلك الحكومة المجرمة القضاء على الدين والأخلاق عند شعوب العالم .

وقد عمد اليهود إلى تنفيذ خطط عديدة للوصول إلى أهدافهم ، ولم تبق جميع خططهم سرية ، إذ عثر السير جون ردكايف (١) على نص خطبة ألقاها الحاخام Reichorn فى اجتماع سرى عقده اليهود على قبر قديسهم سيمون بن يهودا فى مدينة براغ سنة ١٨٦٩ . ونشرت الوثيقة فى مجلة Cantemporain بتاريخ ١/٧/١٨٨٠ .

ولما كانت الوثيقة على جانب كبير من الأهمية وخاصة أنها تكشف خطط اليهود قبل مجيء هرتزل أبى الصهيونية الحديثة ، فقد وجدت من الفائدة نشر بعض نصوص تلك الوثيقة المشتملة على خطبة الحاخام اليهودى Reichorn وما ورد فيها ما يلى (١) :

١ - « لقد وكل آباؤنا للنخبة من قادة يهودا ، أمر الاجتماع مرة على الأقل فى كل قرن ، حول قبر أستاذنا الأعظم الربى المقدس سيمون ابن يهودا الذى تعطى تعاليمه للصفوة من كل جيل ، سيطرة على جميع العالم وسلطة على نسل يهودا » .

٢ - «وها قد مضى ثمانية عشر قرناً على حرب يهودا من أجل تلك السيطرة التي وعد بها إبراهيم ، والتي اغتصبها الصليب ، ورغم أن شعب يهودا قد ديس بالأقدام ، وأهين من قبل أعدائه وكان على الدوام مهدداً بالموت والاضطهاد والاعتصاب وجميع أنواع الشدائد ، فإنه لم يستسلم . وإذا كنا قد انتشرنا في جميع أنحاء العالم فلأن العالم كله ملك لنا .»

٣ - « منذ قرون عديدة حارب حكماءنا الصليب بشجاعة وعزيمة لا تغلبان ، إن شعبنا يخطو شيئاً فشيئاً نحو القمة ، وفي كل يوم تزداد قوتنا . نحن نملك آلهة هذا العصر ، تلك الآلهة التي نصبها لنا هارون في الصحراء . إنه العجل الذهبي الذي عبدناه ، والذي يعتبر اليوم إله العالم أجمع .»

٤ - « ومنذ اللحظة التي نصبح فيها المالكين الوحيدين للذهب في العالم ، فإن القوة الحقيقية تصبح ملك أيدينا ، وعندئذ نحقق الوعود التي قدمت لإبراهيم .»

٥ - « الذهب أعظم قوة في عالم الذهب . إنه قوة وفي الوقت نفسه هبة ، إنه يؤمن جميع أنواع السعادة ، تلك التي يخشاها المرء ويشتهيها . هنالك يكمن السر ، وعمق المعرفة بالروح التي تحكم العالم ، هنالك تملك المستقبل .»

٦ - « كانت القرون الثمانية عشر الماضية لأعدائنا ، ولكن القرن الحالى والقرون المقبلة ستكون لنا ويجب أن تكون لنا نحن شعب يهودا ، ومن المحقق أنها ستكون لنا ، إن عصور الاضطهاد والعذاب ، والأزمة السود المؤلمة ، التي تحملها شعب يهودا بصبر وشجاعة ، قد مرت بسلام ، وشكراً لتطور المدنية بين المسيحيين وتقدمها ، وهذا التقدم هو الدرع الذي نختبئ من ورائه لنعمل بثبات وسرعة خاطفة من أجل إزالة الفجوة التي مازالت تفصلنا عن غاياتنا النهائية .»

٧ — « دعونا نجمل النظر في الحالة المادية لأوروبا ، وندقق في الموارد التي جمعها اليهود منذ بداية هذا القرن ، مجرد ما جمعناه من رموس أموال كبيرة هي ملك أيدينا في هذه اللحظة . وهكذا في باريس ، لندن ، فيينا ، برلين ، أمستردام ، هامبورغ ، روما ، نابولي . . . الخ وفي آل روتشيلد نجد أن اليهود في كل مكان هم سادة الأوضاع المالية لأنهم يملكون عدة آلاف الملايين . »

ويبدو أن الحاخام Reichorn قد تعمق في دراسته لأبعاد المسيحية فجاهدها جهاداً عنيفاً وناضلها بمرارة ووحشية ، فهو يعتبر المسيحية قد ظهرت لتغتصب منهم المجد ، حتى أن طلبة بطرس من المسيح كانت تقسم بسمات الآمال الدنيوية العريضة إذ سأل المسيح قائلاً : « هانحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فماذا يكون لنا ؟ » (١) ، بينما تأمر الكهنة عليه يدل على مدى وقوفهم على ضياع أجدادهم مادام المسيح حياً : « فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجعاً وقالوا : ماذا نصنع فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة . إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا » (٢) ، ويلتزم أمر المؤامرة بقرار قتله : « فقال لهم واحد منهم وهو قيافا كان رئيساً للكهنة في تلك السنة : أنتم لستم تعرفون شيئاً ، ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت لإنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها » (٣) .

والحاخام Reichorn يعلم أن المسيحية تسمو بمسيحيها عن التكالب على الدنيا وتدفعهم إلى التسامى للروحانيات . يقول المسيح : « لا يقدر أحد أن يخدم سيدين لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر ، أو يلزم الواحد ويحتقر الآخر . لا تقدرون أن تخدموا الله والمال » (٤) .

(١) متى ١٩ : ٢٧ .

(٢) يوحنا ١١ : ٤٧ - ٤٨ .

(٣) يوحنا ١١ : ٤٩ - ٥٠ .

(٤) متى ٦ : ٢٤ .

ولهذا جعل بولس رسول المسيحية مناط الأعمال الدينية العليا لأناس زهدوا الدنيا فيقول لهم : « فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم بعلم امرأة واحدة ، صاحباً ، عاقلاً ، محتشماً ، مضيفاً للغرباء ، صالحاً للتعليم ، غير مدمن الخمر ، ولا ضراب ولا طامع بالربح القبيح بل حليماً غير مخاصم ولا محب للمال ، (١) .

بل إن إلخاخام Reichorn يستند إلى عهد الله مع إبراهيم عهداً قد حددته الله بشرط : « وأقيم عهدي بيني وبينك ونسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً لأكون إلهاً لك ونسلك من بعدك . وأعطي لك ونسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً ، وأكون إلههم . « وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدي ، أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك يحنن منكم كل ذكر فتختنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم ، (٢) .

وقطع الله ميثاقاً مع إبراهيم : « في ذلك اليوم قطع الرب مع إبراهيم ميثاقاً قائلاً : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » (٣) .

ويقرر المسيح أن الختان لم يكن فريضة شرعها الله لبني إسرائيل بل وصية الآباء : « أعطاكم موسى الختان . ليس أنه من موسى بل من الآباء ففي السبت تختنون الإنسان ، (٤) .

(١) ١ تي ٣ : ٢ - ٣ ، ١ تي ٧ : ٧ - ٨ .

(٢) تكوين ١٧ : ٧ - ١١ .

(٣) تكوين ١٥ : ١٨ .

(٤) يوحنا ٧ : ٢٢ .

ويقرر بولس رسول المسيحية أن الختان لا ينفع صاحبه إذا كان متعديا لشريعة موسى : « فإن الختان ينفع إن عملت بالناموس . ولكن إن كنت متعديا الناموس فقد صار ختانك غرلة » (١) .

ولقد كان لأعمال إسرائيل التي تتنافى مع القيم الأخلاقية ، أن اسم الله يحدف عليه بسببكم بين الأمم (٢) ، حتى إن المسيح وإن تنازل عن حقه فإن موسى لن يتنازل قط ، « لا تظنوا أني أشكوكم إلى الآب . يوجد الذى يشكوكم وهو موسى الذى عليه رجاؤكم لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونى لأنه هو كتب عني . فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذاك فكيف تصدقون كلامي » (٣) .

ومن هنا يتبين أن الحاخام Reichorn ينظر إلى العهد من زاوية واحدة من ناحية ميراث الأرض : « أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » (٤) . غير أن المسيح أعلنهم بالمصير المحتوم الأبدى بقوله : « أما قرأتم قط في الكتب . الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا . لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره » (٥) .

ومع هذا المصير المحتوم يتصدى الحاخام Reichorn لإرادة الله ويستمر فى خطبته المتضمنة ما خلاصته :

« يعيش الملوك والباطرة والأمراء اليوم مثقلين بالديون وعلينا أن نستغل هذه الناحية ونزيد من قروضنا لهم مقابل رهن أملاكهم وسكك

(١) رومية ٢ : ٢٥ .

(٢) رومية ٢ : ٢٤ .

(٣) يوحنا ٥ : ٤٥ — ٤٧ .

(٤) تسكوين ١٥ : ١٨ .

(٥) متى ٢١ : ٤٢ — ٤٣ . راجع ما جاء بكتابي « محمد فى التوراة والإنجيل » .

الحديد والمصانع والمناجم في بلادهم وبذلك تتم لنا السيطرة على عروشهم وإماراتهم .

« شعبنا طموح ، فنخور ومحب للرفاهية والسعادة ، وحيثما كان النور لا بد من وجود ظلال ، وليس عبثا أن إلهنا قد أعطى شعبه المختار قوة الألفى وحيويتها ، وحيلة الثعلب ومكره ، وبعد نظر الصقر ، وقوة ذاكرة الكلب ، والتضامن الفطري لدى كلاب البحر . »

« قيل بأن عدداً من إخواننا اليهود تنصروا . وماذا يضيرنا ؟ إن هؤلاء اليهود الذين يتعمدون بأجسامهم ستظل أرواحهم يهودية ، وسوف يكونون لنا مشعلا نستنير به في اكتشاف خبايا النصرانية ومساعدتنا على رسم الخطط التي تدمر المسيحية . إن الكنيسة عدونا الخطير فلنستفد من إخواننا الذين تنصروا في الظاهر ، لبث الفساد في الكنيسة وإشاعة أسباب الخلاف والفرقة والصراع بين المسيحيين ونشر الأنباء المشوهة التي تسيء إلى رجال الدين فيقل احترامهم ويزدريهم الشعب في كل مكان . »

« التجارة والمضاربة مصدرا ربح عظيم فلا يصح خروجهما من أيدينا . علينا أن نستولى على احتكارات الخور والخبوب والدقيق وتجارة المواد الغذائية لننتحكم في بطون الـ Gentiles الكفار . »

« علينا أن نتسلل إلى جميع جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية ، لا بد أن نتسلم مناصب رئيسية في القضاء والوزارات الرئيسية ، المالية ، الخارجية ، الحربية ، الجامعات وأقسام الفلسفة منها والقانون والموسيقى والطب والاقتصاد السياسي والآداب والعلوم ، وأهمها جميعا الطب ؛ لأن الطبيب يطلع على أسرار العائلات ، ويتغلغل في صميم حياة أعدائنا المسيحيين ويقبض على كل شيء لديهم : الصحة والحياة . »

« علينا أن نشجع الزواج من المسيحيات . وإن نخسر شيئاً من جراء ذلك الاختلاط بل لابد أن نكون الراجحين ، وقد توصلنا مصاهرة الأسر المسيحية الكبيرة إلى السلطة المدنية ومفاتيح النفوذ في جميع الدوائر ، فلنشجع الزواج العرفي يعقد أمام السلطة المدنية ولنحارب الزواج الديني يعقد في الكنيسة ، (١) .

« إذا كان الذهب هو القوة الأولى فإن الصحافة هي القوة الثانية ، ولكن الثانية لا تعمل من غير الأولى ، فعلينا بواسطة الذهب أن نستولى على الصحافة ، وأن نبذل المال لمن نجد نفوسهم مفتوحة لتقبل الرشوة . وحينما نسيطر على الصحافة نسعى جاهدين إلى تحطيم الحياة العائلية والأخلاق والدين والفضائل . »

« شعبنا محافظ مؤمن متدين ، ولكن علينا أن نشجع الانحلال في المجتمعات غير اليهودية فيعم الفساد والكفر ونضعف الروابط المتينة التي تعتبر أهم مقومات الشعوب ، فيسهل علينا السيطرة عليها وتوجيهها كيفما نريد . »

« علموا أبناء يهودا هذه التعاليم والمبادئ التي ستجعل من شعبنا شجرة عظيمة مثمرة تحمل أغصانها ثمار السعادة والرخاء والقوة والثراء . »
وكل مطلع على التاريخ اليهودي ومراحلته يدرك كم من هذه النقاط والمبادئ قد تحققت ، وإلى أي مدى نجحت الحكومة المستورة في تحقيق أهدافها بالنسبة لبلاد كثيرة أهمها بريطانيا وأمريكا وفرنسا وروسيا . ويجدر بي أن أقدم عرضاً موجزاً عن الصهيونية ودعائمتها وعن الجمعيات اليهودية العالمية التي استخدموها في دعم حكوماتهم المستورة وبسط سيطرتها على الشعوب .

(١) حينما قامت الثورة الروسية كانت الزيجات باليهوديات ظاهرة تؤكد معتقداتهم ، فستالين ومولوتوف كانا متزوجين يهوديتين وهما من الأعضاء البارزين في المكتب السياسي وفي مجلس إدارة الحرب والثورة .

١ - الحركة الصهيونية

بعد أن قوّض الآشوريون بنيان مملكة إسرائيل الشمالية عام ٧٢١ ق. م ، ودمر الرومان الولاية اليهودية سنة ٧٠ م ، بقيت فكرة إسرائيل حية في كلمات هذا المزمور :

على أنهار بابل هناك جلسنا
بكينا أيضاً عندما تذكرنا صهيون
على الصفصاف في وسطها علقنا أعودنا
لأنه هناك سألنا الذين سبونا
كلام ترنيمة ومعذبونا سألونا فرحا
قائلين : رنموا لنا من ترنيمات صهيون
كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة
إن نسيتهك يا أورشليم تَنسَسَ يميني (١)

من هذه الكلمات نبتت بذرة فكرة الصهيونية الوطنية ، على الرغم من الدعوة السمحة التي تشبعت بها نفوس أتباع « يهوه » - الله - كما كان يدعو اليهود .

وعندما أخذ نبوخذ نصر اليهود سبائاً إلى بابل سنة ٥٨٦ ق . م خاطبهم نبيهم « إرميا » بقوله :

« ابنوا بيوتاً واسكنوا واغرسوا جنات ، وكلوا ثمرها ، خذوا نساء
وولدوا بنين وبنات وخذوا لبنيكم نساء وأعطوا بناتكم لرجال فيلدن بنين

وبنات واكثروا هناك ولا تغلوا ، واطلبوا سلام المدينة التي سيترككم اليها
وصلوا لاجلها إلى الرب لأنه بسلامها يكون لكم سلام ، (١) .

هذه هي الفلسفة السمحة التي بنيت عليها أسس المعتقدات اليهودية ،
ولم يوجه الأنبياء العبرانيون : عاموس وإرميا وميخا وإشعيا وإيليا
اهتمامهم أبداً لاستعادة السلطة الزمنية ، وإنما حصروا هذا الاهتمام في دفع
الظلم عن بني قومهم ، وحشهم على عبادة الله إله الرحمة ، والنمساك بأهداب
الحق والفضيلة .

وقد كتب النبي إشعيا ، عام ٥٣٦ ق . م مؤيداً أقوال النبي إرميا ،
ومتنبئاً بظهور المسيح المنتظر . وعبارته المشهورة : « في العام المقبل ستكون
في أورشليم » لم يقصد بها قوماً معينين بل غنى بها إحياء مملكة الله التي
ستكون نواة لمجتمع فاضل يسكنه رجال أفاضل ومثاليون . وقد وصف
هذا النبي في التوراة رسالة اليهودية بقوله :

« إن جبل بيت الرب يكون ثابتاً .. وتجري إليه كل الأمم . وتسير
شعوب كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب
فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبله لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن
أورشليم كلمة الرب » ، (٢) .

وتاريخ الشعب الذي جاء بعد بني يهوذا والذي عرف فيما بعد باليهود
ليس سوى استمرار للصراع بين العقيدة البحتة وبين الفكرة الرامية إلى
إنشاء دولة وشعب مختار .

وعندما هزم كورش الفارسي بنو شيدس آخر ملوك بابل ، سمح لسيابا
اليهود عام ٥٣٨ ق . م بالعودة إلى ديارهم وإعادة بناء معبدهم في أورشليم

(١) إرميا ٢٩ : ٥ — ٧ .

(٢) إشعيا ٢ : ٢ — ٣ .

وممارسة طقوسهم الدينية .

والذين عادوا إلى أورشليم من الأسر هم الذين حملوا معهم فكرة الوطن القومى اليهودى وشعب الله المختار . . وقد ظلت هذه الفكرة تراود أذهان قادتهم الذين تولوا حكمهم فى ظل الإمبراطورية الفارسية وماعقبا من حكم اليونان والسوريين والرومانيين .

ومن ذلك .. أن الكاهن عزرا ، ومن بعده نحميا ، حظرا على اليهود الزواج من غير بنى قومهم . . وغدا المعبد عندهم مركزاً للنشاط الدينى والقومى معاً :

« فقام عزرا الكاهن وقال لهم : إنكم قد خنتم واتخذتم نساء غريبة لتزيدوا على إثم إسرائيل ، (١) ، « فاعترفوا الآن للرب إله آبائكم واعملوا مرضاته وانفصلوا عن شعوب الأرض وعن النساء الغريبة ، (٢) ، « والآن فلا تعطوا بناتكم لبنينهم ولا تأخذوا بناتهم لبنينكم ولا تطلبوا سلامتهم وخيرهم إلى الأبد لكي تشددوا وتأكوا خير الأرض وتورثوا بنيكم إياها إلى الأبد ، (٣) .

وفى مطلع عام ١٣٢ م قام باركوبيه يسانده الحاخام « عقييا ، بحركة ثورية ضد الإمبراطور الرومانى هادريان هدفها جميع شمل اليهود تحت راية وطن قومى ، ولكن القائد الرومانى تينوس روفوس ، تمكن من إخماد الثورة ودخل أورشليم بعد تدميرها ، وأقام معبداً للإله جوبيتر مكان المعبد اليهودى القديم .

(١) عزرا ١٠ : ١٠ .

(٢) عزرا ١٠ : ١١ .

(٣) عزرا ٩ : ١٢ .

ولإبان الحكم الروماني لفلسطين ، كان عدد المتهودين في أنحاء العالم أضعاف العدد الموجود في الأرض المقدسة حتى أن كثيرين من أشرف روما أعجبوا ببعض تعاليم اليهودية وخاصة مبدأ التوحيد .

ولكن حركة التبشير لليهودية شلت مع ظهور المسيحية ، فقد تولت الديانة الجديدة الدعوة لمبدأ التوحيد في العالم الوثني (١) ، ومن بعدها تولاهما الإسلام .

وكان بدء الاصطدام بين المسيحية واليهودية ، ضربة قاصمة لحركة الإصلاح التي نادى بها رسل اليهودية . . . فشلتها تماما . كما دفنت رسالة اليهودية ، كديانة توحيد ، في الطقوس والتعاليم الجامدة فقط .

وكان من جراء ذلك أن قام قادة اليهودية ينادون بالعزلة التامة ليتحرروا من رواسب التأثير اليوناني ، وبالتالي من مزاجية المسيحية ، التي بسطت آنذاك نفوذها في كل مكان ، بما حصلت عليه من امتيازات وحرية واسعة لنشر دياتها الجديدة .

وفي أوروبا الغربية كان اليهود يقطنون غالبا في أحياء خاصة من المدن ، ليحموا أنفسهم وأموالهم من عالم لا يكن لهم أى صداقة . ففي أسبانيا مثلا كان اليهود يسكنون في أحياء خاصة تحيط بها جدران مرتفعة ، تسمى « الغيتو » .

ومن روسيا . . اندلعت الشرارة الأولى للصهيونية كحركة سياسية تهدف لاستعادة مجدهم صهيون في أرض الميعاد . . وراحت بذرة هذه الفكرة تترعرع في نفوس غلاة اليهود من ذوى المطامع السياسية

(١) « قائلين إن الآلهة تشبهوا بالناس وتزلوا إلينا . . قائلين : أيها الرجال لماذا تفعلون هذا ؟ نحن أيضا بشر تحت آلام مثلكم نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل إلى الإله الحي الذي خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها » . أعمال الرسل ١٤ : ١١ ، ١٥ .

وفي عام ١٨٨٤ ، عقد أول مؤتمر صهيوني في مدينة بال وكان الداعي إليه هو « تيودور هرتزل ، حامل لقب الصهيوني الأول وهرتزل هذا كان صحافيا نمساويا ، وكان قد حضر محاكمة الضابط اليهودي « دريفوس » في باريس ، وتألم كثيرا للحملة المغرضة التي شنتها الصحف الفرنسية على دريفوس أثناء محاكمته .. لأنه يهودي .. وكان أن وضع كتابه الأول عن الصهيونية « دولة يهوذا » شرح فيه هدفها الأساسي : كما وقف في مؤتمر بال يدعو صراحة إلى إنشاء وطن قومي في فلسطين

وساعد هرتزل في حركته الصهيونية كتاب كبار من اليهود مثل ماكس نوردو ، وإسرائيل زانجويل وغيرهما من كتاب اليهود في مختلف أنحاء العالم

وشرع هرتزل يستغل سماحة الإسلام التي كان اليهود يعيشون في ظلها بسلام وأمان ، وفكر في استدراج عطف أكبر شخصية إسلامية في ذلك الوقت الخليفة عبد الحميد .

وحينما قابله في مايو ١٩٠١ وأغسطس ١٩٠٢ حاول إقناعه باستدراج العطف تارة وبعرض المال والإغراءات الكثيرة التي تدعم حكم السلطان ، بيد أن جميع محاولات هرتزل في الحصول على وعد سلطاني باستيطان فلسطين قد أخفقت ، ووقف السلطان بعناد وثبات ضد أطماع الصهيونية التي كانت تسعى إلى تهويد فلسطين .

وعاد هرتزل يمارس ضغطه على الحكومة البريطانية التي لا تنسى أعمال دزرائيلي رئيس الوزارة البريطانية في عهد الماسكة فيكتوريا والذي تظاهر باعتناق المسيحية من تدعيم الكيان البريطاني في المستعمرات البريطانية في الشرق الأوسط بأموال رجال المال مثل مونتيغوري وروتشيلد ، بل استطاع أن يشتري حصة مهر في أسهم قناة السويس واقترحت الدولة البريطانية قيمة حصة مهر من أسهم قناة السويس مقابل عمولة قيمتها مائة

ألف جنيه استرليني من المليونير روتشيلد. لن تنسى بريطانيا لليهود تمكين بريطانيا من مصر منافسة لفرنسا فاستغل هرتزل وفاء بريطانيا لخدمات اليهود الذين جندوا أنفسهم لخدمة أهداف الصهيونية وتحقيق أطماعهم .

فنشأت فكرة منح اليهود حق إقامة دولة لهم في شبه جزيرة سيناء غير أن ندرة الماء فيها حالت دون المضي في المشروع . ثم عرض الإنجليز على هرتزل مشروع إقامة دولة لليهود في أوغندا فقبل الفكرة ولكن المؤتمر الصهيوني السادس الذي انعقد في سنة ١٩٠٣ رفض المشروع وأصر على فلسطين وطانا قوميا لليهود . ومات هرتزل سنة ١٩٠٤ وفي نفسه غصة لعدم قبول مشروع إنشاء وطن لليهود في أوغندا .

ومن أقوال كبار كتاب الصهيونية بشأن مطامعهم الصهيونية :

١ - « يجب التمسك بفكرة فلسطين الكبرى على أن تكون البداية متركزة على الأطراف ، هذه هي الصهيونية الواقعية الممكنة » .

دافيد ترتيش ١٨٩٩

٢ - « إن قبرص ليست سوى خطوة إلى فلسطين » . هرتزل

٣ - « إن قبرص هي جزء من فلسطين الكبرى » . دافيد ترتيش

٤ - « إن أرض سيناء والعريش هي أرض لليهود العائدين إلى وطنهم » . هرتزل

٥ - « إن أوغندا هي معسكر ليلي لليهود .. محطة في منتصف الطريق إلى فلسطين » . ماكس نوردو

٦ - « إن فلسطين التي نريد هي فلسطين داود وسليمان » . هرتزل

٧ - « ما من صهيوني يقبل أن يتنازل عن أصغر رقعة من أرض إسرائيل » . بن غوريون

هذه هي أقوالهم بل إنها أهدافهم التي يبلشدونها ويعملون لها . أما أخطر ما تمخضت عنه حركة هرتزل الصهيونية فهي المؤتمرات السنوية التي أخذت تنعقد كل عام في بلد من بلاد العالم ، وتضم كبار حكمائهم . وقد بدأ هرتزل هذه المؤتمرات سنة ١٨٩٧ م يوم عقد في بال في سويسرة أول مؤتمر لحكام صهيون .

وقد اتخذ ذلك المؤتمر قرارات علنية وسرية ، أما العلنية فخلاصتها تأسيس دولة لليهود في فلسطين ويمهد لذلك بتقوية الحركة الزراعية وشراء الأراضي لليهود في فلسطين ، وتنمية موارد اليهود المالية ، وإنعاش الثقافة العبرية والمشاعر الوطنية بين جميع اليهود . وقد استعان هرتزل وحكام صهيون الذين تجمعوا في بال على تحقيق أهدافهم بحث أغنياء اليهود في العالم على البذل والتضحية من أجل تحقيق أهداف الصهيونية . وتقدمت الأسر اليهودية الغنية وعلى رأسها آل روتشيلد ويهود أمريكا بالمال اللازم لدعم خطط أكبر حركة يهودية تهدف إلى جمع وتأسيس دولة لهم وهي الحركة الصهيونية .

الصهيونية دين اليهود الجديد :

إن الحركة الصهيونية تقوم على أساسين راسخين هما التوراة والتلمود من الناحية النظرية وتقوم على أساس ثالث هو مقررات حكماء صهيون من الناحية العملية التنفيذية . والتوراة هي غير الرسالة السماوية التي نزلت على موسى عليه السلام ، بل هي التي تتوافق مع التلمود الذي وضعه أحبار اليهود حسب أهوائهم وكتبوها بعد مضي أكثر من عشرة قرون على رسالة موسى . ومن إلقاء نظرة فاحصة مخلصنة على تعاليم هذه الديانة ندرك أن الخلق اليهودي الإجماعي ليس طارئا أو ناجما عن الاضطهاد الذي تعرضوا له عبر القرون الطويلة ولكنه ولد الديانة اليهودية المحرفة نفسها التي ندد بها المسيح بقوله : « أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم ، يا مراءون حسنا

تنبأ عنكم إشعياء قائلا : يقترب إلى هذا الشعب بقمه ويكرمنى بشفتيه وأما قلبه فببتعد عني بعيدا ، وباطلا يعبدونى وهم يعلمون تعاليمى وصايا الناس ، (١) .

أما أسباب اضطهاد الشعوب لهم فيقررهما موسى على لسان العزة الإلهية بقوله : « وإن كنتم لا تسمعون لى بل سلكتم معى بالخلاف .. فإنى أصير مدنكم خربة ومقادسكم موحشة ولا أشتم رائحة سروركم .. وأذريكم .. بين الأمم وأجرد وراءكم السيف فتصير أرضكم موحشة ومدنكم تصير خربة .. والباقون منكم ألقى الجبانة فى قلوبهم فى أراضى أعدائهم فيهن مهم صوت ورقة مندفعة فيهربون كالحرب من السيف ويسقطون وليس طارد . ويعثر بعضهم ببعض كما من أمام السيف وليس طارد ولا يكون لكم قيام أمام أعدائكم . فهلكون بين الشعوب ونأكلكم أرض أعدائكم ، (٢) .

هذه هى الحقيقة التى أعلنها هرتزل بقوله : « من السخافة أن ننكر وجود « مشكلة » يهودية ، فإنها موجودة حيثما توجد جماعة من اليهود . وإذا لم توجد لا يلبث أن يحملها إليها المهاجرون . إننا نهاجر إلى الجهات التى لا نضطهد فيها ولكن ظهورنا فيها يحمل على اضطهادنا » .

وفى هذا المعنى يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « تقاتلكم اليهود فيظهركم الله عليهم حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودى ورأى فاقتله » . وقوله : « ستظل العداوة قائمة بين المسلمين واليهود حتى ينطق الحجر ويقول : ورأى يهودى فاقتله » . صدق رسول الله .

إن تعاليم هذه الديانة المحرفة دليل الخلق اليهودى الإجرامى وهى مبنية على التوراة والتلمود الذى يفسر تعاليم اليهودية وفلسفة رجال الدين القدامى « الربانيين » ، وبروتوكولات حكماء صهيون التى ترسم خطط

(١) متى ١٥ : ٦ — ٩ .

(٢) لاويون ٢٦ : ٢٧ — ٣٩ .

تدمير العالم من أجل أن يحكموا على أنقاضه ، وهي الديانة التي غرست في نفوس اليهود بذور الإجرام والحقد والفساد والرذيلة والوحشية والانحلال والعنصرية والغرور والوقاحة .

والديانة اليهودية هي التي أحلت لهم سفك الدماء وأكلها وشجعهم على البطش بالآبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال ، وأباحث اغتصاب مال غير اليهود وأعراضهم . وهي التي تتولى عملية تدمير الأخلاق في العالم ونشر الرذيلة والفجور والإباحية والتجسس والإرهاب والحروب والفن ، وهي التي تعتبر الكذب والغدر والافتراء من الفضائل .

والصهيونية عريقة في القدم فهي تمتد من عهد عزرا الكاهن الذي عاد إلى أورشليم في عهد كورش ملك فارس لبناء هيكل سليمان ، والهيكل في نظر اليهود رمز لوجود الله : « إذا خرج شعبك لمحاربة عدوه في الطريق الذي ترسلهم فيه وصلوا إلى الرب نحو المدينة التي اخترتها والبيت الذي بيته لاسمك فاسمع من السماء صلاتهم وتضرعهم واقض قضاءهم » (١) . وقلب الهيكل قدس الأقداس وقلب قدس الأقداس تابوت العهد الذي قال عنه يشوع بن نون : « هوذا تابوت عهد سيد كل الأرض عابر أمامكم في الأردن » (٢) . ولتابوت العهد عقيدة راسخة في نفوس اليهود حتى أنه لما « أخذ الفلسطينيون تابوت الله وأدخلوه إلى بيت داجون وأقاموه بقرب داجون » (٣) قالت امرأة فينحاس بن عالي الكاهن : « زال المجد من إسرائيل لأن تابوت الله قد أخذ » (٤) .

أسباب مكانة تابوت الله بالنسبة لإسرائيل :

ترجم التوراة أن الله استدعى موسى إليه : « وقال الرب لموسى : اصعد إلى الجبل وكن هناك . فأعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التي

(٢) يشوع ٣ : ١١ .

(١) مل ٨ : ٤٤ - ٤٥ .

(٤) ١ صم ٤ : ٢٢ .

(٣) ١ صم ٥ : ٢ .

كتبها لتعليمهم (١) ، ، وقد أطاع موسى أمر الله وبعد أن أنجزت المهمة الربانية : « انصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده لوحان مكتوبان على جانبيهما من هنا ومن هنا كانا مكتوبين . واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين ، (٢) . وهنا نظرة التقديس لتابوت العهد ، بل تؤكد التوراة أن الله « أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحى الشهادة .. لوحى حجر مكتوبين بأصبع الله » (٣) ، « وقال الرب لموسى : اكتب لنفسك هذه الكلمات . لأننى بحسب هذه الكلمات قطعت عهداً معك ومع إسرائيل وكان هناك عند الرب أربعين يوماً وأربعين ليلة لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماء . فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر ، (٤) . ويلاحظ استمساك الصهيونيين بالعهد الذى قطعه الله مع موسى ومع إسرائيل من هذا السند سالف الذكر ، حيث أن العهد الذى أعطاه الله لإبراهيم عهد شامل يشمل ذريته سواء كانوا من نسل إسماعيل أو من نسل إسحق : « فى ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات ، (٥) . ويصبح موسى بالنسبة إليهم رائداً للصهيونية : « فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة فى كتاب إلى تمامها ، أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً : خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم ، (٦) .

(١) خروج ٢٤ : ١٢ .

(٢) خروج ٣٢ : ١٥ - ١٦ .

(٣) خروج ٣١ : ١٨ .

(٤) خروج ٣٤ : ٢٧ - ٢٨ .

(٥) تكوين ١٥ : ٨١ .

(٦) تثنية ٣١ : ٢٤ - ٢٦ .

ما الذى يحتويه تابوت العهد؟

تقرر التوراة أمراً للعزة الإلهية لموسى عليه السلام بالقول : « وتضع فى التابوت الشهادة التى أعطيك » ، (١) ، ففعل موسى بحسب كل ما أمره الرب ، « وأخذ الشهادة وجعلها فى التابوت » ، (٢) ، حتى أن سليمان الملك لما أراد أن يضع تابوت الله فى مكانه من الهيكل فى قدس الأقداس يقرر أنه قد « أدخل الكهنة تابوت عهد الرب إلى مكانه فى محراب البيت فى قدس الأقداس إلى تحت جناحي الكرويين . . ولم يكن فى التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك فى حوريب حين عاهد الرب بنى إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر » ، (٣) .

المبادئ التى عاش لها الصهيونيون :

أوصى الله موسى بأن يحذر شعب إسرائيل بقوله : « والنفس التى تلتفت إلى الجان وإلى التوابع لتزنى وراءهم أجعل وجهى ضد تلك النفس وأقطعها من شعبها ، فتتقدسون وتكونون قديسين لأنى أنا الرب إلهكم وتحفظون فرائضى وتعملونها . أنا الرب مقدسكم » ، (٤) . ويأمرهم : « لا تصنعوا لكم أوثانا ولا تقيموا لكم تمثالا منحوتا أو نصبا . ولا تجعلوا فى أرضكم حجرا مصورا لتسجدوا له ، لأنى أنا الرب إلهكم . سبقى تحفظون ومقدسى تهابون أنا الرب » ، (٥) . فإذا ما قام بنو إسرائيل بإنجاز هذه الأوامر وطاعة الله فإن الله كما تزعم التوراة يحارب عنهم « لأنه إذا حفظتم جميع هذه الوصايا التى أنا أوصيكم بها لتعملوها . لتحبوا الرب

(٢) خروج ٢٥ : ٢٠ .

(١) خروج ٢٥ : ١٦ .

(٤) لاويون ٢٠ : ٦ — ٧ .

(٣) ١ مل ٨ : ٦ — ٩ .

(٥) لاويون ٢٦ : ١ — ٢ .

إلهكم ، وتسلكوا في جميع طرقه وتلتصقوا به يطرد الرب جميع هؤلاء الشعوب من أمامكم فترثون شعوبا أكبر وأعظم منكم . كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم . من البرية ولبنان . من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربي يكون تخمكم . لا يقف إنسان في وجهكم . الرب يجعل خشيتكم ورعبكم على كل الأرض التي تدوسونها كما كلمكم ، (١) . ومن هذه المزاем يقود يشوع بن نون خليفة موسى بنى إسرائيل ويقول لهم على لسان الله : « فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم أى لبني إسرائيل . كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى . من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم . لا يقف إنسان في وجهك كل أيام حياتك ، (٢) .

واستمسك اليهود بهذه المزاем ونسوا قول موسى : « إذا ولدتكم أولادا وأولاد أولاد وأطلم الزمان في الأرض فسدتم وصنعتم تمثالا منحوتا صورة شيء ما وفعلتم الشر في عيني الرب إلهكم لإغاظته ، أشهد عليكم اليوم السماء والأرض أنكم تبيدون سريعا عن الأرض التي أنتم عابرون الأردن إليها لتتسلكوها لا تطيلون الأيام عليها بل تهلكون لاحالة ويبددكم الرب في الشعوب فتبقون عددا قليلا بين الأمم التي يسوقكم الرب إليها ، (٣) .

هذه هي الصهيونية التي رسمتها المزاем الواردة في التوراة والتلمود . ويؤرخ للصهيونية اليهودى إيلى ليفى أبو عسل فيقول : « نحن إذا أنعمنا النظر جيدا نرى أن تاريخ الصهيونية تناول أربعة أزمنة مختلفة :

(١) تثنية ١١ : ٢٢ - ٢٥ .

(٢) يشوع ١ : ٢ - ٥ .

(٣) التثنية ٤ : ٢٥ - ٢٧ .

الأول زمن موسى عليه السلام ، زمن التوراة .
والثاني زمن عزرا الكاهن ، زمن إعادة بناء الهيكل .
والثالث زمن المكابيين حتى عصر هرتزل ، زمن التلمود .
والرابع الزمن المعاصر لهرتزل والذي يبتدىء من سنة ١٩٠٤ إلى
آخر سنة ١٩١٨ والذي أعطوا فيه تصريح بلفور ، (١) .

ويستطرد الكاتب فيقول : « إن موسى كما تقدم الإلماع عنه كان أول
من شيد صرح الصهيونية ووطد دعائمها ونشر مبادئها السياسية ، وقد أثبت
لنا الواقع أن الصهيونية ليست في عهدنا هذا سوى حلقة من سلسلة متصلة
حلقاتها بعضها ببعض اتصالا مستمسكا وثيقا ومتوائمة أجزاءها تماسكا
محكما شديدا ، (٢) .

أما أخطر ما تمخضت عنه حركة هرتزل الصهيونية فهو المقررات
السرية لمؤتمر بال تملك التي سميت بمقررات حكماء صهيون .

مقررات حكماء صهيون

Protocols of ELders of Zion

ولم تبق مقررات حكماء صهيون سراً لأن نسخة منها تسربت إلى
مراسل جريدة المورننج بوست اللندنية في روسيا في أوائل القرن العشرين
وقام بترجمتها إلى اللغة الإنجليزية جورج سكوت في كتابه « الحكومة
السرية في بريطانيا » .

وقامت قيامة اليهود وحاربوا الجريدة وجمعوا نسخ الكتاب
وأحرقوها . بيد أن الخطة كانت قد انكشفت والمقررات المجرمة قد عرفت

(١) يقظة العالم اليهودي - ليلي ليفي أبوعسل - مطبعة النظام بمصر سنة ١٩٣٤ - ص ١٦ .

(٢) يقظة العالم اليهودي - ليلي ليفي أبوعسل - مطبعة النظام بمصر سنة ١٩٣٤ - ص ١٨ .

للعالم بأسره واعترف بها بعض اليهود الذين طردوا من صفوف بني قومهم مثل المحامي هنرى كلين الذى نشر فى جريدته « صوت المرأة » فى شيكاغو سنة ١٩٤٥ كلمة قال فيها :

« إن البروتوكولات — وهى الخطة التى وضعت للسيطرة على العالم — أمر حقيقى وإن زعماء الصهيونية يكرنون مجلس سانهدرين الأعلى الذى يرمى إلى السيطرة على حكومات العالم ، وقد طردنى اليهود من صفوفهم لأننى أنكرت عليهم خططهم الشريرة ، (١) .

وأشار القاضى أرمسترونج من مدينة تكساس فى كتابه « الخونة » ، طبعة ١٩٤٨ ، إلى مؤتمر الصهيونيين الذى عقد فى بال سنة ١٨٩٧ فقال : « إن فكرة قيام عصبة الأمم وهيئة الأمم المتحدة ، واتباعها لإمبراطورية صهيونية عالمية قد طرحت بهذا الترتيب الزمنى على بساط البحث فى المؤتمر الصهيونى الذى انعقد فى مدينة بال عام ١٨٩٧ م . لقد أعلن الصهيونيون المجتمعون فى هذا المؤتمر أن هدفهم يرمى إلى إخضاع الشعوب المسيحية فى العالم ، وتأسيس إمبراطورية صهيونية يرأسها ملك ، يكون إمبراطورا على العالم كله ، وتكشف الخطة عن فكرتهم فى الغزو والفتح ، وقد كانوا يتبجحون فى هذا المؤتمر قائلين إنهم قادرون على فرض سيطرتهم على الصحافة وعلى الذهب فى العالم » (٢) .

وفى البلاد العربية ، كانت أول ترجمة لمقررات حكماء صهيون تلك التى قام بها الأستاذ محمد خليفة التونسى ونشرتها دار الكتاب العربى سنة ١٩٥١ م ، وترجمة أخرى قام بها الأستاذ سيد أحمد حامد الفقى سنة ١٩٥١ م وطبعت فى مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .

(١) الحكومة السرية فى بريطانيا لجورج سكوت — دار الكتاب العربى ١٩٥٧ .

(٢) الحكومة السرية فى بريطانيا لجورج سكوت ص ١٧ .

روح المقررات (١) :

١ - « إن جواز المرور لدينا هو القوة والكذب والادعاء . إن حقنا في قوتنا . لا عيب ولا عار في أن نكون جاسوسا أو دساسة بل هذه فضيلة . »
٢ - « الحرية لدينا هي حق الإقدام على ما تسمح به القوانين ، وسنسيطر على جميع الحريات ما دامت تلك القوانين ستمحو ما نطلب إلغائه ، أو تقيم وتخلق من الحريات ما يكون حسب هوانا ووفق مشيئتنا . »
٣ - « لقد عبثت أيدينا في التشريعات وفي سن القوانين وتنفيذها ، وتدخلنا في شئون الانتخاب ، وفي الصحافة وأداة النشر ، وفي توجيهها والسيطرة عليها . »

٤ - « يجب أن يكون واضحا تماما لنا نحن اليهود مدى ذلك الانحلال والتفكك الخطير الذي تنشره الشيوعية في أذهان الجنتايلز Gentiles أى الشعوب الكافرة غير اليهودية . »

وبهذا المبدأ الخطير فإنهم سيطروا على جميع الأحزاب والحكومات الشيوعية والاشتراكية والديمقراطية بواسطة أسر : بليشيا وسموئيل وساسون في بريطانيا ، ومورجانتو ، وبركنز ، وفرانكفورتز ، وباروخ في أمريكا ، وبلوم ، وماندل ، وزيس ، ودينيز ، وزيروميسكي في فرنسا ، وابشتاين ، وهيمن في بلجيكا ، وزامورا وأزاناو وروزنبرج في أسبانيا ، وكاجانوفيتش ، ولينفينوف وكاراجانز وتروتسكي في روسيا (٢) .

٥ - « لقد صرخت الشعوب في ضجيج مزعج منادية بضرورة إنهاء مشكلة الاشتراكية عن طريق اتفاق دولي ، وقد أسلمهم الانقسام في

Protocols of the Learned Elders of Zion, Britons pub. (١) Society. 1922 .

The Key to the mystery - Christian Nationalist (٢) Missori 1938 .

أحزاب سياسية إلى الوقوع في قبضتنا . لأنه إذا أريد المضي في تنافس أو نضال فلا بد من الاستعانة بالمال ، والمال كله في أيدينا نحن فقط ، وفي هذه الحالة تصبح قوى الشعب العمياء عوناً لنا حيث نغزو نحن ، لا غيرنا ، في موقف يجعلنا نفرض عليهم قائداً لهم يوجههم في الطريق المؤدى إلى هـدفنا .

ولم ينقض القرن التاسع عشر ويدخل العالم في بداية القرن العشرين حتى كان اليهود يسيطرون على مصادر الذهب في جميع أنحاء العالم ومعظم البنوك في بلدان أوروبا وأمريكا ، وخاصة بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ، بواسطة آل روتشيلد الذين انتشروا في تلك البلدان ، وبواسطة أصحاب الملايين أمثال : ماندلسون ، باروخ ، فرانكفورت ، لازارد ، شيف ، مورجانتو ، جافت ، سليجمان ، شتراوس ، روكفلر . ويسيطرون على إصدار النقد في كل الدول الأوروبية الكبرى والولايات المتحدة بواسطة البنوك المركزية التي يملكون معظم أسهمها .

٦ - « إن الحاجة اليومية إلى الخبز تضطر الجنتايلز Gentiles إلى السكوت والرضوخ والرضا وإلى أن يكونوا خدماً لنا ، أذلاء خاضعين في استسلام . »

٧ - « إن خطباءنا سيباشرون مهمة تفسير المشكلات الكبرى وتأويلها حسب هوانا ، تلك المشكلات التي قلبت الإنسانية رأساً على عقب ، تأويلاً تخضع معه الإنسانية لحكمنا الصالح المتساح . »

٨ - « الصحافة كلها وجميع وسائل الإعلام ، واقعة تحت سيطرتنا . والأدب والصحافة قوتان في طليعة القوى التوجيهية الهامة ، وبذلك يجب أن تصبح حكومتنا مالكة للجزء الأعظم من الصحف . »

جاء في نشرة شهرية أصدرتها جمعية نشر المسيحية بين اليهود بتاريخ
أبريل ١٨٤٦ أى قبل أكثر من ١٢٠ سنة ما يلي :

« إن الصحافة اليومية السياسية في أوروبا واقعة إلى حد كبير تحت سيطرة
اليهود . وإذا حاول أديب ما أن يجازف ويسعى للوقوف في طريق اليهود
للاستيلاء على القوى السياسية فإنه سرعان ما يتعرض لهجوم إثر هجوم
من قبل الصحف الرئيسية في أوروبا ، (١) .

ومن تقرير هذه النشرة يتبين أنهم سيطروا على الصحافة وجميع وسائل
الإعلام من إذاعة ودور سينما ودور نشر وتليفزيون ومكتبات عامة
وكذلك دور الطباعة ومصادر الإعلان .

٩ — « لقد حفرنا هوة سحيقة بين السلطات الحاكمة البصيرة وبين
قوى الشعب العمياء ، ففقد الاثنان بذلك معنى وجودهما وصارا كالأعمى
وعصاه لا يساوى كل منهما شيئاً على انفراد » .

١٠ — « واليوم نستطيع أن نذكركم أننا قد أصبحنا قيد خطوات من
هدفنا ، ولم يبق أماننا إلا شوط قصير نقطعه . وحينئذ نصبح بعد هذا
الطريق الطويل الذى عبرناه ، على استعداد لانطباق طرفي الحية الرمزية
التي شبنها بها شعبنا . وعند إغلاق هذه الحلقة تكون كل أوروبا قد وقعت
في قبضة قوية لفسكى كاشة حديدية قاسية » .

١١ — « إن المستبدين والدمكتاتوريين يهيمون في آذان الشعوب على لسان
أعوانهم ودعائهم أنهم ينزلون الضرر بدولاب الحكم لهدف هام ، هو ضمان
سعادة شعوبهم ، ومن أجل تحقيق الحياة الرغدة لهم ، ومن أجل الأخوة
العالمية بين البشر جميعاً ، وأنهم إنما يعملون من أجل العدالة والمساواة

بينهم فى الحقوق والواجبات ، ولكنهم بالطبع لا يذكرون لهذه الشعوب أن هذه الوحدة العالمية التى يقصدون إليها يجب أن تتم عن طريقنا نحن وتحت سيادتنا المطلقة وسلطاننا الكلية . وبفضل هذا الحال فإن الشعوب الجنتايلز Gentiles تقوم بنفسها بتحطيم كل نوع من أنواع الثبات والاستقرار فى الوقت الذى تثير فيه الغموض وتنتشر الارتباك فى كل خطوة تخطوها .

وبفضل هذا المبدأ مولوا معظم الحروب الأهلية والثورات التى حدثت فى روسيا وأسبانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا ، ومولوا الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وخرجوا من جميع تلك الكوارث والنكبات السكونية راجحين .

١٢ — « إذا رفعت أى دولة احتجاجاً ضدنا ، فإنه يكون احتجاجاً سورياً ، تقدمه إلينا هذه الدولة بإرشادنا وتبديرننا لأن حركتهم التى تقوم ضد السامية لاغنى لنا عنها فى مداورة إخوتنا الصغار . »

ما إن قرر المؤتمر السورى المنعقد فى دمشق يوم ٧ مارس سنة ١٩٢٠ استقلال سورية بمحدودها الطبيعية « أى فلسطين وسوريا ولبنان » حتى دُعِيَ مجلس الحلفاء الأعلى للاجتماع فى سان ريمو بإيطاليا وقرر فى « نيسان » إبريل سنة ١٩٢٠ وضع البلاد العربية تحت الانتداب الفرنسى والإنجليزى : فتوضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى كما توضع فلسطين والعراق وشرق نهر الأردن تحت الانتداب الإنجليزى مع الالتزام بتنفيذ وعد بلفور . ولتنفيذ وعد بلفور عينت بريطانيا أول مفوض سام لها فى فلسطين من اليهود الصهيونيين المتعصبين وهو « هربرت صموئيل » الذى عمل على تحقيق أحلام الصهيونية بخلق دولة إسرائيل فى أرض فلسطين .

١٣ — « لا تتفق القوة مع الحق حتى ولا مع حق السماء . »

١٤ -- «إن حرية الصحافة ، وحرية الاجتماع ، وحرية العقيدة ، وقاعدة الحكم ، وغيرها يجب أن تختفي إلى الأبد ، وتمحى من ذاكرة الإنسان» .

١٥ — «إن قوتنا ، إنما هي في سوء التغذية المزمن لأجسام الجنائيلز Gentiles وفي ضعفهم البدني الدائم» .

١٦ — «إن دولاب الأعمال المختلفة في كافة الحكومات يسير بقوة الآلة التي نديرها بأنفسنا وهذه الآلة هي الذهب» .

١٧ — «إننا نملك بين أيدينا أعظم قوة في هذا العصر ، وهي الذهب» .

وكان من سيطرتهم على الذهب أنهم اشتروا أسهم شركتين لاخطر طريقين بحريين في العالم وهما قناة السويس وقناة بنما . وفي صفقة واحدة دفع روتشيلد ورفيقه سليجمان ١٥٠ مليون دولار ثمناً لأسهم في شركة بنما سنة ١٨٧٩ (١) .

١٨ — «يجب أن تكون الصحافة تافهة كاذبة بعيدة عن الحق . إنها تعمل لتحريض وإثارة المشاعر التي نحن في حاجة إليها من أجل أهدافنا . لا يمكن أن يصل إعلان إلى الجمهور دون أن يمر على رقابتنا» .

وبتاريخ يوليو ١٨٧٩م قالت صحيفة The Graphic اللندنية مامعناه : «إن صحافة القارة واقعة إلى حد كبير تحت سيطرة اليهود» . وفي سنة ١٨٥٥م اشترى اليهوديان موزس ليفي ، وليني لاوش جريدة الديلي تلغراف اللندنية وسارت الجريدة على خطة التايمن في خدمة اليهودية العالمية ، ولم تخرج عن الخطة قيد شعرة . وعن طريق الصحافة اليهودية البريطانية والدعاية التي تروجها وصل عدد كبير من اليهود إلى مجلس العموم البريطاني وإلى مجلس اللوردات والمجالس البلدية والجمعيات الخيرية .

ومنذ بدأ التغلغل اليهودى فى الحياة الفرنسية ، اتجه اليهود إلى العصب الخطير فى الدولة ، اتجهوا إلى الصحافة كما فعلوا فى بريطانيا . وبمساعدة المليونير روتشيلد أسهموا فى جميع الصحف الفرنسية وفرضوا عليها رؤساء التحرير والمحربين المسئولين عن الشؤون السياسية والاقتصادية . واستطاعت الصحافة الفرنسية اليهودية أن تجعل من البطل الفرنسى بيتان خائناً وأن تجعل من بلوم ومنديس فرانس وسوستيل وغيرهم ، رؤساء وزارات ووزراء يوجهون سياسة فرنسا .

١٩ - « لقد ذكر الأنبياء أن الله اختارنا بنفسه لنحكم العالم كله ، ولهذا أمدنا بنوع من النبوغ يتفق مع مهمتنا هذه وينسجم معها . »

٢٠ - « أمامنا الآن بضع سنوات قليلة لتحل اللحظة التى يتم فيها تحطيم الديانة المسيحية تحطيماً كاملاً . »

٢١ - « علينا أن ننزع فكرة الله ذاتها من عقول المسيحيين . »

٢٢ - « يجب ألا نتردد لحظة فى أعمال الرشوة والخديعة والخيانة إذا كانت تخدم أغراضنا . »

٢٣ - « إن الغاية تبرر الوسيلة وعلينا ونحن نضع خططنا ألا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقي بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضرورى ومفيد . »

ولا أدل على ذلك من التآمر الأمبريالى الصهيونى على فلسطين أثناء نظر القضية أمام هيئة الأمم المتحدة فى الفترة من ١٩٤٧ - ١٩٤٨ إذ أبرق سول بلوم عضو الكونجرس إلى ترومان يقول : « إن على الولايات المتحدة أن تعترف بالدولة اليهودية الجديدة ، وبذلك تساعد على منع نفوذ السوفيات من التغلغل إلى فلسطين والشرق الأوسط . »

وأعلن الدكتور حاييم وايزمان الصهيونى الخطير قبل أيام معدودة من جلاء قوات الانتداب عن فلسطين مانصه : « لقد تمكنت من توطيد

علاقاتنا بأصدقائنا في واشنطن وتأكدت أنه سيتم الاعتراف بالدولة اليهودية في اللحظة التي يعلن فيها عن إنشائها .

وفي ١٣ أيار « مايو » سنة ١٩٤٨ كتب وايزمان رسالة خاصة إلى ترومان يطلب فيها « أن تعترف الولايات المتحدة حالا بالحكومة المؤقتة للدولة اليهودية الجديدة » .

٢٤ - « نحن نحكم الطوائف باستغلال مشاعر الحسد والبغضاء التي يوجبها الضيق والفقر ، وهذه المشاعر هي وسائلنا التي نكتسح بها كل الذين يصدوننا عن سبيلنا . »

٢٥ - « عندما نصل إلى ملكتنا يصبح من غير المرغوب فيه لدينا وجود عقيدة غير عقيدتنا ، وعلى ذلك يتعين علينا أن نكتسح جميع العقائد والأديان الأخرى . وإذا كان هذا يؤدي إلى وجود ملحدين ينكرون وجود الله فإن هذا مما لا يتعارض مع وجهة نظرنا ، ويعتبر في ذاته مرحلة تطور وانتقال . »

وقد كانت نقمة اليهود على روسيا القيصرية عظيمة لأنها كانت في نظر اليهود الركن المكين للمسيحية ، ولأن روسيا لم تهضم تغلغل اليهودية العالمية في السكان الروسى ، ولم تسمح بسيطرة اليهود والصهيونية على مقدرات الشعب الروسى ، كما لم تحل دون عمليات القمع الانتقامية التي كانت توجه لليهود كما تسببوا في تدمير اقتصاد بلد من بلدان روسيا .

وقررت الحكومة اليهودية المستورة أن تدمر المسيحية في روسيا وأن تلتقم من الشعب الروسى الذى كان يحقر اليهود ويضطهدهم . فكانت الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ ، وكان من ورائها قولا وعملا وتمويلا وتخطيطا عتاة اليهود من أمثال تروتسكى Trotsky ، سفيردي洛夫 Sverdlov ، كاميليف Kamenev ، سوكولنسكوف Sokolnikoff ، أورتسكى Uritsky ،

لتفنيد Litvinoff ، وزينوفيف Zinoviev ، رادك Radek وكاجانوفتش Kaganovitch ، وستالين كان متزوجا من يهودية .

والممولون الرئيسيون للثورة البلشفية كانوا من اليهود أمثال : ماكس واربرج Warburg وشقيقه بول Paul ، وهما من الشركة اليهودية الأمريكية في نيويورك Kuhn Loeb & Co. ، وكراسن Krassin وفيرزنتبرج Furstenberg .

٢٦ - « لقد خدعنا الجيل الناشئ من الجنتيالز Gentiles وجعلناه فاسدا متعفنا بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها التام » .
ما إن جاء القرن العشرين حتى سيطر اليهود في أغلب دول أوروبا وأمريكا على صناعة الأفلام وتوجيهها للغاية المشوذة وهي تحطيم الأخلاق والأديان والفضائل عند الشعوب ، وكذلك سيطروا على تجارة الأفيون والحشيش والكوكايين بواسطة آل ساسون . واستمرت حرب اليهود ضد المسيحية والمسيحيين على مر الزمن باللجوء إلى الحرب الأدبية مستخدمين نفوذهم المالى فى العالم لنشر الكتب التى تصدرها دار « سيمون وشوستر » منها كتاب بعنوان « التجربة الأخيرة للمسيح » يهاجم المسيحية ويتناول على السيد المسيح والسيدة العذراء ، وقد اقتبست مجلة لبنانية (١) بعض ما فى الكتاب اليهودية القذرة عن السيد المسيح ، فى صفحة ٨٦ من كتاب « التجربة الأخيرة للمسيح » : « كانت المجادلة مستلقية على ظهرها فى الفراش عارية تماما مبللة بالعرق ، وشعرها الأسود الفاحم منشور على وسادتها ويداها متشابكتان تحت رأسها . لقد كانت تضاجع الرجال منذ الفجر فكانت منهوكة القوى وكان شعرها وكل جزء من جسدها تفوح منه رائحة جميع الأمم . . وفى الصفحة ٤٥٠ : « أمسك بها يسوع وطبع على فمها قبلة ملتهبة . . وامتقع لونهما واصططكت ركبها . فساقتا تحت شجرة ليون

مزهرة ، وبدأ يتدحرجان على الأرض . طلعت الشمس ووقفت فوقهما ، وهب نسيم عليل أسقط أزهار الليمون على جسديهما العاريين . وضمت المجدلية يسوع إليها وألصقت جسده بجسدها الملتهب .

٢٧ — « إن الجنتايلز Gentiles كقطع من الغنم ونحن ذئاب » .

٢٨ — « اليوم تسود حرية العقيدة في كل مكان ، ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تتهار المسيحية بددا انهيارا تاما ، وسيبقى ما هو أيسر علينا للتصرف مع الديانات الأخرى . سنقصر رجال الدين وتعاليمهم على جانب صغير جداً من الحياة وسيكون تأثيرهم ويلا سيمًا على الناس حتى إن تعاليمهم سيكون لها أثر مناقض للأثر الذي جرت العادة أن يكون عليه » .

٢٩ — « إن المحفل الماسوني المنتشر في كل أنحاء العالم في غفلة كقناع لأغراضنا ، والمسيحيون في خستهم الفاحشة يساعدوننا على استقلالنا . يجب علينا أن نحطم كل عقائد . الإيمان وتكون النتيجة المؤقتة لهذا هي إثم ملحدين » (١) .

٢ — الجمعيات اليهودية العالمية

(١) الماسونية Freemasonry

(ب) جمعية بنائ برث « أبناء العهد » B'nai B'rith

١ — الماسونية (٢) Freemasonry :

جمعية سرية يهودية يرجع تاريخها القديم إلى أيام اليهود الأولى ، ويقول البعض إن موسى نبي اليهود الأول كان أستاذا أعظم ، قاد اليهود

(١) راجع : الخطر الصهيوني للأستاذ محمد خليفة التونسي ، والحكومة السرية في بريطانيا ترجمة دار النصر ، وإسرائيل بنت بريطانيا البكر للأستاذ محمد علي الزغبى ، والصهيونية العالمية للأستاذ عباس العقاد ، والصهيونية سافرة تقديم السيد سيد أحمد حامد الفقى .

(٢) Encyclopaedia Britanica — نقلا عن كتاب خطر الصهيونية العالمية على الإسلام والمسيحية ، عبد الله التل ، بتصريح خاص .

يمثلوا في تيمم المحفل الماسوني ، وإن سليمان كان أستاذا أعظم لمحفل القدس .

ولقد مرت الماسونية بمراحل عديدة تهمنا منها مرحلة القرن الثامن عشر الذي شهد مع القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين تطور النفوذ اليهودي وتغلغل سلطان اليهود عن طريق الماسونية في جميع الحكومات الأوروبية والأمريكية .

والماسونية تجد مكانا خصبا لدى الطائفة الإنجيلية ، ويقول ألفريد ليلينثال في كتابه « ثمن إسرائيل » : « ولقد لعب العامل الديني دورا هاما في إقرار التقسيم وخاصة لدى الطائفة الإنجيلية المستمدة تعاليمها عن التوراة ، وكان هذا العامل من جملة العوامل التي حملت إيرل بلفور ، والجنرال سمطس على تأييد إقامة وطن قومي يهودي في الأراضي المقدسة » .

ولقد كان للعبارة « العلاقة التاريخية للشعب اليهودي بفلسطين » ، الواردة في صك الانتداب البريطاني على فلسطين أثرها الكبير في معركة التقسيم ، وجنوح هيئة الأمم المتحدة عن ميثاقها وعن العدالة وعن الحقوق الدولية منساقة إلى العاطفة الدينية ، وفي الخطاب الذي ألقاه الحاخام « سيلفر » أمام اللجنة الخاصة شدد على هذه العبارة « العلاقة التاريخية للشعب اليهودي بفلسطين » واستند إليها في مطالبته بإنشاء الوطن القومي . وفي سنة ١٧١٧ م أعاد اليهود النظر في تعاليم الماسونية ورموزها وغيروا فيها لتناسب الجو البروتستانتي في بريطانيا والولايات المتحدة ، وأسسوا في ذلك العام محفل بريطانيا الأعظم ، وأطلقوا على أنفسهم اسم البنائين الأحرار بعد أن كانوا فيما سبق يحملون اسم « القوة المستورة » . وجعلوا من أهداف الماسونية الخادعة : الحرية - الإخاء - المساواة ، وهي أهداف زائفة لأن الماسونية لا هدف لها إلا خدمة اليهودية العالمية وتأمين سيطرتها على العالم .

ثم مالبث المحفل الماسوني الأعظم في بريطانيا أن كشف عن بعض غواياه حين جعل من أهداف الماسونية (١) :

- ١ — المحافظة على اليهودية .
- ٢ — محاربة الأديان بصورة عامة والكنائس بصورة خاصة .
- ٣ — بث روح الإلحاد والإباحية بين الشعوب .

ومن بريطانيا — وفي الفترة من سنة ١٧٣٢ إلى سنة ١٧٧٣ في مدى أربعين سنة — انبثق بإشراف محفل بريطانيا الأعظم محافل ماسونية عظمى في عواصم أوروبا . وتأسس محفل ماسوني سنة ١٧٣٣ في بوسطن ومن قبلها في نيويورك ، ولم يأت عام ١٩١٧ حتى كان عدد المحافل العظمى في الولايات المتحدة الأمريكية قد تجاوز الخمسين محفلا ينضوي تحت لوائها آلاف المحافل العادية وينخرط في عضويتها أكثر من مليون أمريكي (٢) .

ومن بريطانيا كذلك بإشراف محفلها الأعظم تأسست محافل الماسون في البلاد الواقعة تحت نفوذها في أمريكا « كندا ونيوزيلند » وفي إفريقيا « مصر » وفي آسيا « الهند » والشرق الأوسط سنة ١٧٥٢ . ثم قارة أستراليا . وأصبح محفل بريطانيا الأعظم بالنسبة للمحافل المنبثقة منه كأرض فلسطين في قدسيتها بالنسبة لليهود ومقامهم هيكلي سليمان ، وللمسيحيين ومقامهم كنيسة القيامة ، وللمسلمين ومقامهم المسجد الأقصى ثاني الحرمين .

وللماسونية مراحل ثلاث : ابتدائية رمزية ، ومتوسطة ملوكية ، وكونية تضم حكماء إسرائيل الذين يتصرفون بالمحافل الصغرى لمصلحة اليهود . ولها قسم تبدأ صيغته للبهتدي :

(١) الماسونية منشئة ملك إسرائيل — مجد على الزغبى — مكتبة العرفان بيروت ١٩٥٦ .

(٢) دائرة المعارف البريطانية Encyclopaedia Britannica .

« أقسم بمهندس الكون الأعظم إننى لا أفشى أسرار الماسونية ، ولا علاماتها ، ولا أقوالها ، ولا تعاليمها ، ولا عاداتها ، وأن أصولها مكتومة على صدرى إلى الأبد » .

وبعد أن يتدرج الماسونى فى الرتب الماسونية وينال ثقة رؤسائه تبدأ عملية تدمير شخصيته وفصله عن مجتمعه وأسرته ، وتحطيم الروابط المقدسة التى تربطه بوالديه وبأسرته وعشيرته وحكومته ووطنه ، فيكون القسم على الشكل التالى :

« أقسم على أن أقطع كل الروابط التى تربطنى بكل إنسان ، كالأب والأم والإخوة والأخوات ، والزوج والأقارب والأصدقاء والملك والرؤساء وكل من حلفت له بالأمانة والطاعة ، وعاهدته على الشكر والخدمة » (١) . إن عملية تدمير الشخصية هى التى كان يعنىها المسيح فى شرط الموافقة على المرید إذ قال : « لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاماً على الأرض ، ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً . فإنى جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها ، والكنة ضد حماها ، وأعداء الإنسان أهل بيته من أحب أباً أو أما أكثر منى فلا يستحقنى . ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر منى فلا يستحقنى ، ومن لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى ، من وجد حياته يضيعها . ومن أضاع حياته من أجلى يجدها » (٢) . وما وصلنا من معلومات إنما هى آراء الغرب فيها ، فقد قال اليهودى Piccolo Tiger رئيس

جمعية Haute Vente Romaine السرية بتاريخ ١٨/١٨٢٢ :

« ترغب جمعية هوت فنت بأى وسيلة أن يلتحق أكبر عدد ممكن من الأمراء بالماسونية وإن الأمراء من ذوى الدم الملكى يطرون طموحهم

للشهرة .. أعدوهم للماسونية الأوروبية عندها تقوم « الهوت فنت » Haute Vente بعمل المستطاع لتكون مفيدة في هذا المجال . سيعمل الأمراء مؤقتاً على اجتذاب المعتوهين والمتأمرين والغشاشين والعاطلين عن العمل . وهؤلاء الأمراء المساكين يخدمون قضيتنا من حيث يظنون أنهم يخدمون أنفسهم . إنها الخدعة الكبرى ، ولسوف نجد دائماً الكثيرين ممن يرغبون في زج أنفسهم بمؤامرات يظن كل أمير أنه الرابع من وراثتها .

ومن أغرب ما سطره التاريخ ، أن الماسونية اليهودية التي روجت للمبادئ الشيوعية ، ثم قامت بالانقلاب الشيوعي في شرق أوروبا ، هي رأسمالية محضة في غرب أوروبا ويحمل لواءها اللورد روتشيلد اليهودي وأمثاله .

إن يهود روسيا يعترفون صراحة بأنهم أشعلوا الثورة الروسية ويفأخرون بما صنعوا . وجاء في مقال لإسرائيل يدعى م . كوهين :

« يمكن القول بلا مبالغة إن الثورة الروسية الكبرى كانت من عمل اليهود ، وإن هؤلاء اليهود لم يقوموا بهذا العمل فحسب ، وإنما تولوا رعاية المذهب السوفيتي . ويمكننا أن نطمئن نحن اليهود ما دامت إدارة الجيش الأحمر العليا في يدي ليون تروتسكي ، (١) .

ومن هذا يتضح أن الماسونية اليهودية كانت ذات وجهين ، فهي لروسيا شيوعية مخربة .. وهي للغرب والأمريكا رأسمالية صهيونية . ولم يكن ذلك إلا تنفيذاً لقرارات حكماء صهيون ، وهي تنص على أن يكون

(١) انظر المقال في كتاب الخطر الصهيوني بالفرنسية بقلم الأب جوان .

للماسونية في كل بلد نظام خاص ، وأساليب خاصة ، كي تصل إلى تقويض العالم وإقامة دولة اليهود العالمية .

وفي سنة ١٩٢٨ قالت المجلة اليهودية Le Symbolisme عدد يوليو :
« إن أعظم واجب للماسوني الأوربي هو تمجيد الجنس الذي حافظ على المستوى الكهنوتي للحكمة » .

وقالت دائرة معارف الماسونية الصادرة في فيلادلفيا سنة ١٩٠٦ :
« يجب أن يكون كل محفل رمزا لهيكل اليهود وهو بالفعل كذلك وأن يكون كل أستاذ على كرسيه ممثلا للملك اليهود ، وكل ماسوني تجسيدا للعامل اليهودي » .

وذكرت دائرة المعارف اليهودية طبعة ١٩٠٣ الجزء الخامس صفحة ٥٠٣
أن اللغة الفنية والرموز والطقوس التي تمارسها الماسونية الأوربية ملأى بالمثل والاصطلاحات اليهودية ، ففي محفل سكوثلندا نجد التواريخ الموضوعية على المراسلات والوثائق الرسمية ، كلها بحسب تقويم العصر والأشهر اليهودية وتستعمل كذلك الأبجدية العبرية » . وتنص تعاليم الماسونية السرية على تقديس الجنس والحرية التامة لنشر الإباحية (١) .

« إن أمنيتهما هي تنظيم جماعة من الناس يكونون أحراراً جنسياً ، فريد أن نخلق الناس الذين لا ينجلون من أعضائهم التناسلية » ، وفي هذه الأيام التي تسود فيها المدنية المسيحية نجد صعوبات جمة ، ولكن البداية قد رسمت فعلا ، ومهما تكن صغيرة إلا أنها ناجحة ، وعلى نطاق واسع ، لا بد من النصر المحقق إذا استطعنا أن نغذى الشباب منذ سنوات أعمارهم الأولى ، بأسس هذه الآداب الجديدة ، على الشباب أن يدركوا منذ ولادتهم أن أعضاء التناسل مقدسة » (٢) .

(١) Freemasonry - Arnold leese London 1935 .

(٢) لقد نجحوا في ذلك وأسسوا نوادي العراة في دول أوربية كثيرة ، وينشرون اليوم فكرة العري في جميع شواطئ أوروبا وأمريكا .

وهكذا نجد من اعترافات اليهود أنفسهم أن الماسونية وجدت لخدمة أهداف اليهود الشريرة ، وتسهيل عملية استيلائهم على عقول القادة والرؤساء وتحطيم نفوسهم وتخويلهم إلى عبيد يؤمنون بالماسونية ويكفرون بالله وبالوطن ، ويتنكرون لأمتهم ويضعون أنفسهم تحت تصرف الماسونية تستخدمهم معاول هدم في كيان الشعوب والأوطان والحكومات غير اليهودية .

ب — جمعية بنائ برث (١) « أبناء العهد ، B'nai B'rith :

أسسها في ١٣/١/١٨٤٣ يهودى ألماني من هامبورغ هاجر إلى أمريكا ، وهى فرع من الماسونية العالمية ، وتختلف عنها في أنها لا تقضم إلى محافلها غير اليهود ، واتخذ رئيسها هنرى جونز مدينة نيويورك مقرا للجمعية . ومن نيويورك انتشرت أذرع الأخطبوط اليهودى على شكل محافل ماسونية يهودية خاصة لا تقضم أحداً من الجنتايلز Gentiles الكفار وهم غير اليهود .

وتظاهر المسؤولون عن هذه الجمعية بالبراعة وحب الخير والعمل الإنسانى ، وادعوا ان أهداف الجمعية تتلخص في مساعدة الضعفاء ومنع الإهانة بسبب الجنس اليهودى والعطف على المضطهدين من جنسهم اليهود . ولكن الأهداف الحقيقية لهذه الجمعية الخطيرة كانت تدور حول دعم الماسونية العالمية ومساندتها في جميع الخطط الجهنمية التى ترمى إلى سيطرة اليهود على العالم بعد تدمير الأخلاق والحكومات الوطنية والدين .

لقد أسست فروع لهذه الجمعية في جميع أنحاء الكرة الأرضية في أمريكا وأوروبا وبخاصة فرنسا وبريطانيا وألمانيا ، وفي آسيا وأستراليا وإفريقيا . ولم تسلم مهنر منها فقد تأسس فيها محفلان سمي أحدهما محفل ماغين دافيد

(١) دائرة المعارف البريطانية طبعة سنة ١٩١١ م B'nai B'rith .

رقم ٤٣٦ طبع قانونه باللغة العربية ، والثاني محفل ميمونت رقم ٣٦٥ طبع قانونه باللغة الألمانية ، وكان أخطر محافل هذه الجمعية تلك التي أنشئت في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ، ذلك لأنها تغلغلت في صميم الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لهذين البلدين .

وتولت محافل بنائى برث التصدى لكل من يتعرض لليهود أو يحاول الكشف عن خططهم وأخلاقهم الفدرة . وغدت هذه الجمعية سيفاً مصلتاً على رقاب الشعب في بريطانيا وأمريكا وبقية أنحاء أوربا . واستخدمت هذه الجمعية مختلف الوسائل لإسكات الألسن وتحطيم الأقدام لمنعها من التعرض لليهود الذين يعيشون في بلاد العالم فساداً وتأمراً وتخريباً .

ولم تبق خططها وأهدافها سرية وإنما نشرت على العالم الغربي ، ولكن هيئات للعالم الغربي أن يأخذ حذره ويدفع عن نفسه شر هذه الجمعية ، فقد تغافل عن نشاطها مما جعلها تسهم في جميع الثورات والحروب التي وقعت في القرنين التاسع عشر والعشرين ، فقد ثبت أن هذه الجمعية كانت مع الماسونية العالمية وراء الثورة الفرنسية ، ففي الاجتماع الذي عقد في ٢٣ / ٨ / ١٧٨٩ لوضع الدستور الجديد كان هناك ٣٠٠ عضو ماسوني ، وفي اجتماع اليهود الذي عقد في مدينة بال بسويسرة سنة ١٨٩٧ م صرح رئيس الوفد الأمريكى لجمعية بنائى برث في المؤتمر بقوله (١) :

« علينا أن ننشر روح الثورة بين العمال ، وهم الذين سنقذف بهم إلى خطوط دفاع العدو واثقين من أن رغباتهم لا نهاية لها ، ونحن بحاجة ماسة لعدم رضاهم من أجل تخريب المدينة المسيحية والإسراع في نشر الفوضى ، ولسوف يأتى الوقت الذى يسارع فيه المسيحيون أنفسهم طالبين من اليهود أن يتسلخوا السلطة . »

وكان لهذه الجمعية أصبح في إشعال الحرب الكونية الأولى متعاونة منع
الماسونية والصهيونية ورجال المال من آل روتشيلد. وحينما جاء هتلر للحكم
في سنة ١٩٣٣ م أسهمت هذه الجمعية في شن الحرب على هتلر وحكمه ،
ومهدت بذلك للحرب الكونية التي خسر العالم كله الشيء الكثير من
جرائها وربحها اليهود في النهاية .

أما بالنسبة لوطننا المقدس فلسطين فقد كانت جمعية بنائ برث تبذر
بذور الشر فيها منذ سنة ١٨٦٥ م ، وفي سنة ١٨٨٨ م ، أنشأت في فلسطين
أول محفل ما سوني للجمعية ، ثم أسهمت في تأسيس المستعمرات الصغيرة
في فلسطين خالقة بذلك نواة الوطن القومي اليهودي ، وكان من أبرز
الشخصيات اليهودية المنتمة لهذه الجمعية في فلسطين : ناحوم سكولوف ،
دزنيكوف ، هايم نخمان ، دافيد يلين ، مائير برلين ، هايم وايزمان ،
جاد فرامكين .

ولم تزل جمعية بنائ برث قوة يهودية عاتية تسيطر على مقدرات غربية
عديدة وخاصة في أمريكا وبريطانيا ، ولم تزل سلاحا ماضيا في يد اليهودية
العالمية تستخدمه للسيطرة على العالم . ويكفي أن تعلم أن رئيس هذه الجمعية
فيليب كولزننيك Philip Klulznick قد عين في عهد الرئيس أيزنهاور
رئيساً للوفد الأمريكي لدى الجمعية العامة للأمم المتحدة (١) ، وأن رؤساء
الولايات المتحدة لا يدعون مناسبة يهودية تمر دون أن يشيدوا بالأعمال
العظيمة التي تحققتها جمعية بنائ برث .

ولا ننسى الحديث الذي أدلى به فوستر دالاس في الحفل الذي أقامه
محفل الجمعية الأعظم بتاريخ ٨ مايو ١٩٥٦ والذي جاء فيه :

« إن مدينة الغرب قامت في أساسها على العقيدة اليهودية في الطبيعة الروحية للإنسانية ، ولذلك يجب أن تدرك الدول الغربية أنه يتحتم عليها أن تعمل بعزم أكيد من أجل الدفاع عن هذه المدينة التي معقلها إسرائيل » (١) . إن دالاس وأمثاله من البروتستانت المخدوعين يؤمنون بخرافات التوراة — العهد القديم — ويجعلونها أساساً لسياسة بلادهم نحو فلسطين رغم أن هذه السياسة تجر على بلادهم الخراب وتعرضها لأخطار جسيمة .

ولقد قام بنجامين فرانكلين يذبه شعب الولايات المتحدة ويحذرهم من خطر اليهود ، وكان ذلك قبل مأساة فورستال وزير الدفاع الأمريكي بمائة وستين عاماً ، فأعلن في المؤتمر الذي انعقد لإعلان الدستور سنة ١٧٨٩ ما يلي (٢) :

« هنا لك خطر عظيم يهدد الولايات المتحدة الأمريكية ، وذلك الخطر هو « اليهودى » .

« أيها السادة حيثما استقر اليهود نجدهم يوهنون من عزيمة الشعب ويزعزون الخلق التجارى الشريف . إنهم لا يندمجون بالشعب . لقد كونوا حكومة داخل الحكومة . وحينما يجدون معارضة من أحد فإنهم يعملون على خنق الأمة مالياً ، كما حدث للبرتغال وأسبانيا . ومنذ أكثر من ١٧٠٠ سنة وهم يندبون مصيرهم المحزن ، لالشيء إلا ادعائهم أنهم طردوا من الوطن الأم . ولكن تأكدوا أيها السادة ، أنه إذا أعاد اليوم إليهم عالمنا المتمدين فلسطين فإنهم سيجدون المبررات الكثيرة لعدم العودة إليها . لماذا ؟

(١) أمريكا مستعمرة صهيونية الأستاذ صلاح دسوقي — القاهرة ١٩٥٧ م .

(٢) The nameless War . Capt. Ramsay, London 1952 .

لأنهم من الطفيليات التي لا تعيش على نفسها . إنهم لا يستطيعون العيش فيما بينهم ، إنهم لا بد أن يعيشوا بين المسيحيين وبين الآخرين الذين هم ليسوا من جنسهم .

« إذا لم يستثن اليهود من الهجرة بموجب الدستور ، ففي أقل من ١٠٠ سنة سوف يتدفقون على هذه البلاد بأعداد ضخمة تجعلهم يحكمونا ويدمرونا ويغيرون شكل الحكومة التي ضحينا وبذلنا لإقامتها دماءنا وحياتنا وأموالنا وحریتنا الفردية .

« إذا لم يستثن اليهود من الهجرة ، فإنه لن يمضي أكثر من ٢٠٠ سنة ليصبح أبنائنا عمالا في الحقول لتأمين الغذاء لليهود الذين يجلسون في بيوتهم المالية مرفحين يفركون أيديهم بغبطة .

« إنى أحذرکم أيها السادة ! إذا لم تستثنوا اليهود من الهجرة إلى الأبد ، فسوف يلغى أبنائكم وأحفادكم في قبوركم . إن عقليتهم تختلف عنا حتى لو عاشوا بيننا عشرة أجيال ، والنز لا يستطيع تغيير لونه . اليهود خطر على هذه البلاد ، وإذا سمح لهم بالدخول فسوف يخربون دستورنا ومنشأتنا . يجب استثنائهم من الهجرة بموجب الدستور .

فقد قدر بنجامين فرانكلين هذه المدة بمائتي سنة تنتهي سنة ١٩٨٩ م ، بينما استطاع اليهود أن يهودوا الولايات المتحدة قبل خمسين سنة من هذا التاريخ ، لتصبح سياستها وأسلحتها وعلمها وقناتها وأموالها وخيراتها مجندة لخدمة اليهودية العالمية وأدواتها التنفيذية : الماسونية - الصهيونية .

ولا أدل على ذلك من أنه في صباح ١٤ أيار « مايو » ١٩٤٨ تمكن كلارك كليفورد مستشار الرئيس الأمريكي الخاص - والذي كان على اتصال مستمر بزعماء الحزب الديمقراطي وقادة الصهيونية - من إقناع رئيسه ترومان بوجوب القيام بعمل فوري لإنقاذ الحزب الديمقراطي من هزيمة

محققة في الانتخابات المقبلة ، لاسيما أن قادة الحملات الانتخابية في الحزب ، أبلغوه أن « مشروع الوصاية ، الذي عرضته حكومة واشنطن ، سوف يؤدي بترومان وحزبه إلى فشل ذريع ، وأن هناك ثورة داخلية في الحزب ضده .

وإزاء هذه التطورات السريعة ، رأى كليفورد أن من الضروري كسب الأصوات اليهودية مهما كلف الأمر .

وهكذا اختلى ترومان طيلة يوم ١٤ أيار ، مايو ، بمستشاريه المقربين وبحث معهم الموقف بصورة جدية جديدة ، كما اجتمع إلى فرانك غولدمان رئيس مؤسسة « بناي برث ، الصهيونية التي ينتمي إليها صديق ترومان الحميم وشريكه اليهودي القديم « أدى جا كيسون » ، كما أن عضو الكونجرس « سول بلوم ، أبرق إلى ترومان يقول : « إن على الولايات المتحدة أن تعترف بالدولة اليهودية الجديدة ، وبذلك تساعد على منع نفوذ السوفييات من التغلغل إلى فلسطين والشرق الأوسط » .

وطيلة ذلك اليوم ظل البيت الأبيض معتصما بالاصمت المطبق وحوالى الساعة الحادية عشرة والنصف من قبل ظهر ذلك اليوم استدعى البيت الأبيض إلياهو ابشتاين (وكان في ذلك الوقت يمثل الوكالة اليهودية بوشنطن ، وهو الذي سمي فيما بعد الياهو أيلات وأصبح السفير الأول لإسرائيل في الولايات المتحدة) وأبلغه أن حكومة الولايات المتحدة ، قررت أن تعترف اعترافا واقعيا بدولة إسرائيل فور إعلانها ، بشرط أن توجه الدولة الجديدة كتاباً تطلب فيه الاعتراف ، وفي الساعة السادسة تماما حسب توقيت واشنطن (الساعة ١٢ حسب توقيت القاهرة) أعلن نبأ نهاية الانتداب على فلسطين . وفي الساعة السادسة والدقيقة الواحدة ، أعلن قيام دولة إسرائيل الجديدة ، وفي الساعة السادسة وإحدى عشرة

دقيقة تم اعتراف الولايات المتحدة بالدولة الجديدة ، فقد دعا تشارلز روس ، الملحق الصحفي في البيت الأبيض ، رجال الصحافة إلى مكتبة وتلا عليهم قراراً مؤلفاً من سطرين ، يتضمن اعتراف الرئيس ترومان بدولة إسرائيل اعترافاً واقعياً ، وقد شفع القرار بتمنيات الرئيس الأمريكى للدولة الجديدة ، لإقرار السلام فى تلك الربوع .

ومن العجب العجائب أنه بينما كانت الإدارة الأمريكية فى واشنطن تعترف بسيادة إسرائيل واستقلالها ، كان المندوب الأمريكى فى هيئة الأمم ما يزال يدافع عن مشروع الوصاية على فلسطين !!

٣ — عصبة الأمم

League of Nations

وليدة اليهودية العالمية وأدواتها التنفيذية التى من أهمها الماسونية والصهيونية ، لتكون العصبة من وسائلها فى تحقيق السيطرة على العالم ، على أن تكون فلسطين القاعدة الأولى لتلك السيطرة العالمية ، ولقد كشف الميثاق عن هذه القوى فأعلنها سافرة : « إن قوى الاستعمار العالمى واحتكاراته تسعى إلى هدف ثابت هو وضع الأرض العربية الممتدة من المحيط إلى الخليج تحت سيطرتها العسكرية حتى تتمكن من مواصلة استغلالها ونهب ثرواتها .

« ولقد وصل التآمر الاستعمارى إلى حد انتزاع قطعة من الأرض العربية فى فلسطين قلب الوطن العربى ، واغتصابها دون ما سند من حق أو قانون لصالح إقامة فاشستية عسكرية لا تعيش إلا بالتهديد العسكرى الذى يستمد أخطاره الحقيقية من كون إسرائيل أداة الاستعمار . »

وقد أورد اليهودي ليمان روزنتال في كتابه When prophets speak أن اليهودي ماكس نوردر قال في المؤتمر الصهيوني السادس المنعقد سنة ١٩٠٣ م ما يلي (١) :

« وسوف يدعى قريباً إلى مؤتمر عالمي . . ودعوني أقول لكم هذه الكلمات كما لو كنت أريكم دعائم السلم الذي يقودنا إلى العلا : هرتزل ، المؤتمر الصهيوني ، مقترحات بريطانيا حول أوغندا ، الحرب العالمية المقبلة ، مؤتمر الصلح ، حيث تخلق — بمساعد بريطانيا — فلسطين اليهودية الحرة . »

وجاء في محاضر مؤتمر المحافل الماسونية العالمية المنعقد في ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ يونيو ١٩١٧ ، أي قبل أن يفكر أحد من غير اليهود بتأسيس عصبة الأمم ما يلي :

« إنه من المهم جداً أن نبني مدينة المستقبل السعيدة . ومن أجل تلك المهمة الماسونية الصادقة دعيتم اليوم . لقد حولنا هذه الحرب إلى نزاع رهيب بين الديمقراطيات المنظمة والقوى العسكرية الجبارة ، لقد تحطمت في هذا الإعصار القوى القديمة — القياصرة — وسوف تجرف الرياح رياح الحرية — المزيفة — بقية الحكومات ، فلا مندوحة إذن من خلق سلطة عالمية عالية ، إن الماسونية صانعة السلام تطرح على بساط البحث موضوع هذه الهيئة الجديدة : عصبة الأمم » (٢) .

وبعد قيام عصبة الأمم قال الزعيم الصهيوني ناحوم سوكولوف في المؤتمر اليهودي الذي عقد في كارلسباد بتاريخ ٢٧ من أغسطس ١٩٢٢ ونشرته جريدة نيويورك تايمز في اليوم التالي :

(١) The Key to the mystery, Christian Nationalist Missori 1938.

(٢) The Key to the mystery, Christian Nationalist Missori 1938.

« إن عصبة الأمم فكرة يهودية ، لقد خلقناها بعد كفاح دام ٢٥ سنة . ستكون القدس يوما ما عاصمة للسلم العالمى . وإن ما حققناه نحن اليهود بعد كفاح ٢٥ سنة يرجع الفضل فيه إلى زعيمنا الخالد تبودور هرتزل ، » .

وكان أول عمل قامت به عصبة الأمم هو قيام السير إريك درموند Eric Drumond بتوجيه رسالة رسمية إلى الصهيونى الأكبر حايم وايزمان يؤكد فيها بأن حماية حقوق اليهود ستكون من أهم واجبات عصبة الأمم ، واستطاعت الحكومة اليهودية العالمية تسخير عصبة الأمم لفرض الانتداب البريطانى على فلسطين من أجل تحقيق هدف أساسى واحد هو تنفيذ وعد بلفور وتهويد فلسطين .

وكان الدكتور حايم وايزمان — وهو روسى المولد والجنسية يهودى الديانة ، تجنس بالجنسية البريطانية — قد اتصل بالزعيم الصهيونى روتشيلد كما اتصل بكبار رجال بريطانيا ، وتمكن بمساعدتهم أن يجذب إليه لويد جورج ، وونستون تشرشل ، وبلفور وغيرهم من المسيحيين الإنجليز ، كما كان معه فى تخطيطه للتآمر على فلسطين كثيرون من العظماء والوزراء البريطانيين مولدا وجنسية واليهود ديانة ، منهم اللورد ريدنج ، وهوربيلشا ، والسر هربرت صموئيل ، وكان فى وزارة لويد جورج وزيران يهوديان هما السير الفريد موند والأونورابل إدوين مونتاجو ، كما كان فى المجلس الاستشارى الخاص ستة أعضاء من اليهود .

وسعى هذا النفر القوى فى التمهيد لاستيلاء اليهود على فلسطين ، وكان لليهود فى تلك الأوقات أعضاء فى الوزارة وفى مجلس العموم وفى مجلس اللوردات وكثير من رجال المال والصحافة منهم ، كما كان لهم نفوذ كبير فى الولايات المتحدة الأمريكية وفيها عدد منهم يقدر بالملايين ، وقد تركز

نفوذهم هناك في المؤسسات المالية والتجارية وسيطروا على الصحف ، وكانت قوتهم تظهر بوضوح في انتخابات رئاسة جمهورية أمريكا ، وكذلك في انتخاب حاكم ولاية نيويورك ، وكان نفوذهم ملحوظا في المحكمة العليا الأمريكية .

فلما سيطر وايزمان وروتشيلد على عقول بعض الوزراء والعظماء في إنجلترا كان لا بد من وضع صيغة يعلنها بلفور ، ولا يثير ظاهرها مخاوف العرب . . وهنا يعترف وايزمان في مذكراته بأن المفاوضات بينه وبين الإنجليز قد استمرت زمنا طويلا ، إلى أن تم الاتفاق بوحى من اليهود أنفسهم على وضع الصيغة النهائية التي أعطاه بلفور إلى اللورد روتشيلد في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٧ .

وينص وعد بلفور كما نشر في تقرير اللجنة الملكية لفلسطين على الآتي :
« يسرى جدا أن أبلغكم عن حكومة جلالاته التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أمانى اليهود الصهيونية ، وقد عرض على الوزارة وأقرته .

« إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى . .

ويوضح المستر لويد جورج Lloyd George الظروف والملابسات التي خرج فيها التصريح إلى الوجود ، فيقول في سياق شهادته التي أدلى بها أمام اللجنة الملكية لفلسطين — وكان لويد جورج رئيسا للوزارة البريطانية :
« كان إعلان تصريح بلفور أمرا اقتضته موجبات الدعاية . .

ويمكننا أن نجزم أن الإنجليز كانوا يتفاوضون مع الشريف حسين في

الوقت الذى كانوا يتفارضون فيه مع الصهيونيين ، وانتهى الأمر بوضع حلفين متناقضين : أحدهما لأصحاب الحق سكان البلاد وهم العرب ، وثانيهما للغدر بالعرب وإقطاع اليهود أرض فلسطين .

وتعمدوا أن يكون نص وعد بلفور مبها مائعا لا يدل على شيء واضح مع الاتفاق سرا على أن تكون فلسطين تحت حماية إنجلترا ، ومع الوعد الخطير بمنع إقامة حياة نيابية ، وبضمان هجرة اليهود إلى فلسطين ، حتى يصبحوا كثرة يمكن معها إقامة دولة يهودية .

وبهذا سقطت مبادئ ولسن ، كما سقط مبدأ عصبة الأمم الذى أعلن للناس « حق تقرير المصير » ، وأن « خير الشعوب وتقدمها أمانة مقدسة فى عنق المدينة » . ثم وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطانى .

ويؤيد لويد جورج فى وجهة نظره البروفسور أرنولد توينبى المؤرخ البريطانى المشهور وأستاذ الدراسات الدولية فى جامعة لندن ، ومدير المعهد الملكى البريطانى للأبحاث الدولية ، فقد علل صدور وعد بلفور فى الجزء الثامن من كتابه « دراسة فى التاريخ ، A Study of History » بقوله : « عامل سياسى آخر أظهرته الحرب العالمية الأولى فى الميدان ، هو التنافس بين المتحاربين على كسب ود اليهودية العالمية ، فإن كسب التأييد اليهودى - بل وأكثر من ذلك تجنب العداءة اليهودية - كان أمراً على جانب عظيم من الأهمية للفريقين . ومع أن تحرر اليهود النفسى فى منقاهم فى الغرب لم يكن قد تم بعد ، فإن تحررهم الاقتصادى والسياسى فى ذلك الوقت كان قد قطع شوطا بعيدا فى تقدير أصوات اليهود ومنحها وزنا هاما ، بل وربما حاسما فى ميزان القوة الدولى المضطرب . لقد أصبح اليهود الآن قوة يحسب حسابها فى الحياة السياسية القومية لدى دول وسط أوروبا وغربها على السواء . وفى

الولايات المتحدة كانت قوتهم لا تزال على مدى أوسع كثيرا وقد بلغ نفوذ يهود أمريكا قدراً عظيماً في أعين المحاربين في أوروبا الذين بدأوا يتحققون أن الكلمة الأخيرة في النزاع ستنتطق بها أمريكا ، وأن هذه الكلمة الأمريكية الأخيرة قد تتأثر بصورة ملحوظة بأراء المواطنين من يهود أمريكا .

ويصف توينبي السباق بين الطرفين المتحاربين ، وينتهي إلى القول بأن التصريح كان الورقة الراجحة في أيدي البريطانيين وحلفائهم .

٤ - الأمم المتحدة

United Nations

الأمم المتحدة وليدة اليهودية العالمية وأدواتها التنفيذية من ماسونية وصهيونية وجمعيات يهودية أخرى . خلق اليهود عصبة الأمم بعد الحرب الكونية الأولى التي دبروها وخططوا لها ، لتقرر بدء عملية تهويد فلسطين ولتشرف على تنفيذ تلك العملية الإجرامية . ودبر اليهود وخططوا للحرب الكونية الثانية ، وبعد انتهائها خلقوا الأمم المتحدة لتقوم بالمرحلة الثانية في جريمة فلسطين وهي إصدار قرار تقسيمها وإنشاء دولة لليهود في فلسطين . فالجمعيتان من صنع اليهودية العالمية وهما وسيلة من وسائلها للسيطرة على العالم .

نجاح المؤامرة اليهودية :

في فبراير ١٩٤٧ تظاهرت الحكومة البريطانية بالعجز التام عن إيجاد حل لمشكلة فلسطين ، وقررت إحالة القضية للأمم المتحدة ، وهي أمنية طالما تمنّاها اليهود الذين سيطرون على الأمم المتحدة سيطرتهم على سابقتها عصبة الأمم .

ومن الإحصائية التي أعقبت تأسيس هيئة الأمم المتحدة بعد انتهاء الحرب السكونية الثانية سنة ١٩٤٥ (١) يظهر أنها تضم ٦٠ ٪ من موظفيها من اليهود مع أن نسبة عدد اليهود إلى سكان العالم لا تزيد على ١ ٪ .

ونشطت اليهودية العالمية وحكومتها المستورة في تدبير اجتماع عاجل خاص للأمم المتحدة للنظر في قضية فلسطين ، فعقدت دورة استثنائية في إبريل ١٩٤٧ اتخذ فيها قرار بإيفاد لجنة تحقيق دولية إلى فلسطين . وتألفت اللجنة التحقيق الدولية من مندوبين عن : أستراليا ، تشيكوسلوفاكيا ، يوغوسلافيا ، الهند ، غواتيمالا ، هولندا ، إيران ، البيرو ، أورغواي ، السويد ، كندا ، وكانت ميول أغلب أعضائها يهودية صهيونية . وقد اجتمعوا سرأ بالمنظمات اليهودية الإرهابية وتبادلوا مع رؤسائها الآراء والعواطف . وحضرت للجنة المذكورة إلى فلسطين ودرست المشكلة كما فعلت سابقاتها من لجان التحقيق العديدة ، وعادت إلى سويسرة حيث وضعت قرارها بالأكثرية : قرر ثمانية أعضاء تقسيم فلسطين ، وقرر مندوبو الهند وإيران ويوغوسلافيا تشكيل دولة فيدرالية في فلسطين . ورفعت اللجنة قرارها إلى الأمم المتحدة مطالبة بتقسيم فلسطين ، ونظرت الأمم المتحدة في دورتها العادية سبتمبر سنة ١٩٤٧ في تقرير لجنة التحقيق ، ووقعت مناورات ومؤامرات خطط لها ونفذها رجال الحكم في الولايات المتحدة وعلى رأسهم ترومان فنشرت جريدة New York Times في عددها الصادر بتاريخ ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ما يلي :

و أجلت الجمعية العامة للأمم المتحدة جلستها التي تصوت بها على تقسيم فلسطين أمس ، بعد أن وجد مؤيدو الصهيونية أنهم لا يضمنون ثلثي الأصوات اللازمة لنجاح المشروع . . وهكذا كانت الأمم المتحدة منذ إنشائها حتى يومنا هذا أداة في خدمة اليهودية العالمية .

الفصل الثالث

انتفاضة الأمم واللاسامية

تشهد التوراة على بنى إسرائيل بأن الله شاء فأسكنهم بين قوم جبابرة عتاة لامتحانهم : هل يسمعون وصايا الرب أو يتذكرون لها ؟

« فهؤلاء هم الأمم الذين تركهم الرب ليتحن بهم إسرائيل كل الذين لم يعرفوا جميع حروب كنعان . إنما لمعرفة أجيال بنى إسرائيل لتعليمهم الحرب . الذين لم يعرفوها قبل فقط . أقطاب الفلسطينيين الخمسة وجميع الكنعانيين والصيدونيين والحويين سكان جبل لبنان من جبل بعل حرمون إلى مدخل حماة ، كانوا لامتحان إسرائيل بهم لكي يعلم هل يسمعون وصايا الرب التي أوصى بها آباؤهم عن يد موسى » (١) .

إلا أن طبيعة بنى إسرائيل المتمردة وقلوبهم الغلف جعلتهم ينحرفون : « فسكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسين ، واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنينهم وعبدوا آلهتهم ، فعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب ونسوا الرب إلههم وعبدوا البعليم والسواري . فغى غضب الرب على إسرائيل ، فباعهم بيد كوشان رشعتايم ملك آرام النهرين . فعبد بنو إسرائيل كوشان رشعتايم ثمانى سنين » (٢) .

وتمر الأيام ، « وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم والعشتاروث وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة بنى عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه . فغى غضب الرب على إسرائيل وباعهم بيد الفلسطينيين وبيد بنى عمون » (٣) .

(١) قضاة ٣ : ١ — ٤ .

(٢) قضاة ٣ : ٥ — ٨ .

(٣) قضاة ١٠ : ٦ — ٧ .

ويبدو أن أسفار التوراة تدل على أن بنى إسرائيل كانوا يعتقدون بتعدد الآلهة ، فكانوا يرون أن ثمة إلها خاصاً بهم يختلف عن آلهة الشعوب الأخرى : « وقال لابان ليعقوب : هوذا هذه الرجمة وهوذا العمود الذى وضعت بينى وبينك . شهادة هذه الرجمة وشاهد العمود أنى لا أتجاوز هذه الرجمة إليك وأنت لا تتجاوز هذه الرجمة وهذا العمود إلى المشرق . إله إبراهيم وآلهة ناحور آلهة أبيهما يقضون بينهما ، (١) . أما إله إسرائيل فهو ذلك الذى أطلق على نفسه لقب « يهوه » : « وقال الله أيضاً لموسى : هكذا تقول لبنى إسرائيل : يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم . هذا اسمى إلى الأبد وهذا ذكرى إلى دور فدور ، (٢) .

حتى سليمان عليه السلام شارك بنى إسرائيل فى تعدد الآلهة حسب ما زعمته التوراة : « وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه . فذهب سليمان وراء عشتورث إلهة الصيدونيين وملسكوم رجس العمونيين وعمل سليمان الشر فى عيى الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه . حيثئذ بنى سليمان مرتفعة لـكموش وحى الموابين على الجبل الذى تجاه أورشليم ولمولك وحى بنى عمون وهكذا فعل لجميع نساءه الغربيات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن ، فغضب الرب على سليمان . . . وأقام الرب خصماً لسليمان هدد الآدومى . كان من نسل الملك فى آدوم » (٣) .

(١) تكوين ٣١ : ٥١ — ٥٣ .

(٢) خروج ٣ : ١٥ .

(٣) الملوك الأول ١١ : ٤ — ٩ ، ١٤ . وأدوم هو من نسل عيسو شقيق يعقوب : « فقال عيسو ليعقوب أطمعنى من هذا الأحمر لأنى قد أعيت : لذلك دعى اسمه آدوم » . تكوين ٢٥ : ٣٠ .

وقد تعاقب الأنبياء وأرعدت أصواتهم تنذر بالهلاك . وانقسمت المملكة إلى مملكتين توأمتين هما مملكة يهوذا وقاعدتها أورشليم ومملكة إسرائيل وقاعدتها السامرة . وتناقص حجم المملكتين التوأميتين كلما أُمعنتا في الخطيئة . وفي سنة ٧٢٢ ق. م غزا ملك أشور «سوريا» السامرة : «وكان أن بنى إسرائيل أخطأوا إلى الرب إلههم .. وتركوا جميع وصايا الرب إلههم وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلىن وعملوا سوارى وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل . وعبروا بنهم وبناتهم في النار . فغضب الرب جداً على إسرائيل ونحاهم من أمامه ولم يبق إلا سبط يهوذا وحده .. فسبى إسرائيل من أرضه إلى أشور إلى هذا اليوم . وأتى ملك أشور بقوم من بابل ... وأسكنهم في مدن السامرة عرضاً عن بنى إسرائيل فامتلكوا السامرة وسكنوا في مدنها ، (١) .

وفي سنة ٥٨٦ ق. م غزا نبوخذ نصر ملك بابل مملكة يهوذا ودمر هيكلها : «إن جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الأمم ونجسوا بيت الرب الذى قدسه فى أورشليم .. فأرسل الرب إله آبائهم رسلاً ، فكانوا يهزأون برسل الله وردلوا كلامه وتهاونوا بأنياته حتى ثار غضب الرب على شعبه فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم بالسيف فى بيت مقدسهم ، وأحرقوا بيت الله وهدموا سور أورشليم وأحرقوا جميع قصورها بالنار وأهلكوا جميع آياتها الثمينة وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل فكانوا له ولبنيه عبيداً ، (٢) .

إلا أن حكمة الله التى تقتضى مولد المسيح ليكون خاتمة أنبياء إسرائيل اقتضت إعطاء فرصة لإسرائيل للعودة : «وأما بيت يهوذا فأرحهم وأخلصهم بالرب إلههم ، ولا أخلصهم بقوس وبسيف وبحرب

(١) ٢ مل ١٧ : ٧ — ٢٤ .

(٢) أخبار الأيام الثانى ٣٦ : ١٥ — ٢٠ .

وبخيل وبفرسان ، (١) ، فيجعل قلب كورش ملك فارس رحيمًا بإسرائيل ،
ويأذن لهم بالعودة لبناء بيت الرب : « في السنة الأولى لكورش ملك
فارس أطلق نداء في كل مملكته بأن الله أوصاني أن أبني له بيتًا في
أورشليم التي في يهوذا من منكم من جميع شعبه الرب إلهه معه
وليصعد ، (٢) » .

وتعرض الشرق الأوسط للغزو المقدوني فاستولى على فلسطين
سنة ٣٣٠ ق . م . ودارت الأرض دورتها وفي سنة ٦٣ ق . م استولى
الجنرال الروماني بومبي على القدس . وقدر لهؤلاء الرومانيين أن يكونوا
سادة البلاد في إبان الخطوة العظيمة التالية لتطور فلسطين التطور الروحي
بعد عودة اليهود من السبي .

ففي بادئ الأمر حكموا اليهود عن طريق تابعهم الملك هيرودس الذي
أعاد بناء الهيكل على جبل المريا حيث الصخرة العظمى وكان هيكلًا أكبر
حجمًا وأغنى أنثاء ورياشا من الهياكل التي سبقته حتى من هيكل سليمان .

وأخذ اليهود المنتشرون في جميع أصقاع الأرض يحجون إلى الهيكل
حاملين معهم الهبات السخية ، وسنحت لليهود الفرصة مرة أخرى لإقامة
عبادة دائمة نقية صافية للإله الأعلى .

ولكن المصالح المادية طغت وأخذ اليهود يستغلون عبادة الله تجاريًا ،
فجباة عشور الهيكل دفعوا أنصارهم المتنافسين إلى أن يقاتلوا بعضهم بعضًا في
الشوارع كما يفعل اللصوص وقطاع الطرق ، والصرافون الذين كانوا
يجلسون إلى موائدهم في الهيكل نفسه كانوا يتخذون صفة السماسرة للكهنة
الكبار ويتزنون الأموال دون ما رحمة أو شفقة على الحجاج البائسين .

(١) هوشع ١ : ٧ .

(٢) ٢ خب ٣٦ : ٢٢ — ٢٣ .

وإذ تتدهور القيم الأخلاقية ولا يرتجى من بيت الله خير يتحول الزمن في دورته وتستعد الدنيا لرائد يقود الإنسانية للحياة الفضلى ، وكأن العناية تعد العدة لمجيء المسيح عليه السلام ، وذهب المسيح مع رجيل الحجاج إلى الهيكل المبنى على الصخرة (١) ، ولما وصل أخذته الغيرة على بيت الله إذ ارتاع هول ما رأى من شرور وآثام كما ارتعد من قبله سائر الأنبياء . واستطاع أن يقوم بعمل مباشر : « وجاءوا إلى أورشليم . ولما دخل يسوع الهيكل ابتداء يخرج الذين كانوا يبيعون ويشتررون في الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسى باعة الحمام . ولم يدع أحداً يجتاز الهيكل بمتاع . وكان يعلم قائلًا لهم : أليس مكتوباً بيتي بيت صلاة يدعى لجميع الأمم وأنتم جعلتموه مغارة لصووس ، (٢) .

ولم يكن غريباً أن يحكم كهنة اليهود الثائرون على يسوع بالإعدام : « وسمع الكتبة ورؤساء الكهنة فطلبوا كيف يهلكونه لأنهم خافوه إذ بهت الجمع كله من تعليمه ، (٣) .

إلا أن يسوع المسيح تنبأ بالمصير الذى ينتظرهم ، لا بمصير ملك اليهود السياسى لأن هذا كان قد ضاع فعلاً منذ سنة ٥٨٦ ق . م ، بل بزوال مركزهم الدينى بهدم الهيكل : « وفيما هو خارج من الهيكل قال له واحد من تلاميذه : يا معلم انظر ما هذه الحجارة وهذه الأبنية ؟ فأجاب يسوع وقال له : أنتظر هذه الأبنية العظيمة ؟ لا يترك حجر على حجر لا ينقض (٤) ، . ويقول : يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة

(١) وهو غير الهيكل الذى أعاد بناءه عزرا الكاهن بعد عودته من فارس ، فالهيكل الذى أعاد بناءه عزرا الكاهن وزير بابل قد دمر في أثناء ثورة توداس وجوداس سنة ٧٠ م في عهد الإمبراطور الرومانى تيطس .

(٢) لمخيل مرقس ١١ : ١٥ — ١٧ .

(٣) مرقس ١١ : ١٨ .

(٤) مرقس ١٣ : ١ ، ٢ .

المرسلين إليها مرة أردت أن جمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها ولم تريدوا ، هوذا بيتكم يترك لكم خرابا ، (١) . وكانت كلماته الأخيرة هذه خاتمة لسلسلة من الويلات انصبت على الكتبة والفريسيين منها ما قاله : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تعشرون النعنع والشبث والسكمون وتركتم أثقل الناموس : الحق والرحمة والإيمان . كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك ، (٢) .

ولم تتحقق نبوءة خراب الهيكل بعد ذلك بخمسين عاما فحسب ، ولكن القدس كلها دمرها الإمبراطور هادريان سنة ١٣٥ م ، إخماداً لثورة باركوبيه ، وطرد منها اليهود جميعا ، وبنيت مكانها مدينة رومانية جديدة وحرم على جميع اليهود أن يدخلوا إليها ، وقد دامت الإمبراطورية الرومانية أكثر من ستمائة عام .

الظاهر والباطن :

كان الوضع الذي نتج في فلسطين مثقلا بالمتناقضات الجغرافية والتاريخية والسيكولوجية . فرقعة الأرض الواقعة غرب نهر الأردن « لبنان » هي أرض « إبراهيم » الجبلية وهي الرقعة التاريخية التي ثبت لإسرائيل أقدامه فيها ثم توارثها السامريون فيما بعد .

أما الرقعة الرئيسية التي تقوم عليها دولة إسرائيل الصهيونية الحالية فهي أرض الفلسطينيين والسكنعانيين ، ولم يسبق أن استعمر هذه الأرض أى من شعب إسرائيل أو يهوذا على الإطلاق ، كما أنها لم تتحد لا مع إبراهيم ولا مع ملكة يهوذا طوال الثلاثة عشر قرنا التي ظل الفلسطينيون

(١) إنجيل متى ٢٣ : ٣٧ - ٣٨ .

(٢) متى ٢٣ : ٢٣ .

والإسرائيليون يعيشون فيها جنبا إلى جنب ، إلا في فترات قصيرة متقطعة كانت ضمن الفترات التي ساد فيها حكم الفلسطينيين على إسرائيل أو حكم اليهود على أرض فلسطين .

وفي سنة ١٩٤٩ م كما في سنة ١٣٥ م وسنة ٧٠ م ، وسنة ٥٨٦ ق. م وسنة ٧٢١ ق. م ، وسنة ٧٣٢ ق. م كان المجتمع الفلسطيني المنزعة جذوره من أرضه الوطنية بفعل عاصفة عسكرية أو سياسية يواجه تحديا يبعثه في الخارج بين الأهم الأخرى لكي يظهر فيما إذا كان ذلك المجتمع قادراً على المحافظة على شخصيته في حالة التشريد كما فعلت مملكة يهوذا أو أنه سيضمحل ويذوب كما فعلت مملكة إسرائيل ، إلا أن مشردى القرن العشرين الفلسطينيين هؤلاء كانوا غير يهود ، بينما كان الغزاة الذين اقتلعوهم من أرضهم هذه المرة من اليهود ، وكانت هذه المتناقضات الجغرافية والتاريخية نتيجة لتناقض سيكولوجي عجز اليهود عن الصمود له .

حين يهجر اليهودي اللير إلى حياة التشرد بشكل إفرادي ثم يضع نفسه بين صفوف البرجوازية الغربية الحديثة فإنه يصير نفسه ضمن قائمة اجتماعية مسيحية قد عني عليها الزمن .

أما حين يهجر المشتتون اليهود ذلك بشكل جماعي ، ومن أجل أن يبنوا أمة جديدة تتجمع على أرض واحدة مقلدة في ذلك آثار الرواد البروتستانت المسيحيين الذين خلقوا الولايات المتحدة وكندا وأستراليا ونيوزيلندا - فإن الصهيونيين يصحرون أنفسهم وينقلبون إلى طبقة مسيحية لا مثيل لها في حياة اليهود بعد النبي . كان الهدف الجريء الذي يسعى إليه الصهيونيون هو أن يقلبوا ، ومن عندياتهم الخاصة ، جميع الخصائص اليهودية المتميزة ، وذات الأصول العميقة في الحياة التقليدية ليهود التشريد ، ومن أجل ذلك شرعوا يعيدون أنفسهم إلى عمال يدويين من طبقة مثقفين وأخذوا يسكنون الأرياف والقرى بدلا من كونهم

سكان مدن ، وصاروا جنودا مقاتلين وإرهابيين بدلا من شهداء ، وساميين ذوى روح عدوانية بدلا من « لا - آريين » ، مستضعفين مسالمين وكان هذا التقسيم « للنيتشوى » ، (١) لجميع القيم اليهودية التقليدية ، بغية الهدم بدلا من كونه بغية البناء ، وفى سبيل الشر بدلا من توجيهه إلى صالح الخير ، هو الذى تم توجيهه نحو ذلك الخيال الذى كان يلوح لليهود فى الأفق ، فيملأ قلوبهم الضيقة بالأمل فى أن يجعلوا أنفسهم أبناء « أرض إسرائيل » ، (٢) فى عهد متأخر .

ولقد فشلت جميع العوامل لإذابة الشعب اليهودى ضمن أبناء الوطن الذين يعيشون فيه ، ويرجع ذلك إلى الحاجز السيكولوجى بين المسيحيين الغربيين وبين اليهود ، بعد أن كان الحاجز القانونى بينهما قد أزيل رسميا . كان لا يزال هنا لك « غيتو » فى عالم الغرب اللبيرالى فى القرن التاسع عشر ، فظل المسيحى الغربى يحتجز اليهودى فيه كما ظل اليهودى من جانبه أيضاً يحشر نفسه وينعزل عن مواطنه المسيحى . وكان اليهودى الذى تم تحريره بصورة اسمية يجد نفسه مُقنصاً بالفعل - بحكم الواقع لا بحكم القانون - عن الفرص الاجتماعية الكثيرة ، ومجردا من الحقوق التى يتمتع بها رفيقه المسيحى الذى يعترف به رسميا كعضو مساو له فى مجتمع متحد . وكان المسيحى يجد نفسه قبالة ماسونية حرة - وهى أيضاً واقعية أكثر منها مقصودة - بين اليهود الذين ظلوا يتوقون إلى المطالبة بالمنافع والخيرات دون الرغبة فى الانسجام . كما كانوا يدعون إلى المساواة الفعلية بين جميع أعضاء الطائفتين كنتيجة للاعتراف الرسمى بالمساواة فيما بينهما .

وفى الحقيقة لقد ظل كل من الطرفين يتصرف حسب مستوى ازدواجى فى سلوكه : مستوى أرفع للتعامل مع أعضاء مجتمعه الذين من عرقه .

(١) نسبة إلى الفيلسوف الألمانى « نيتشه » .

(٢) هذا هو التعبير الوارد فى المخطوطات اليهودية بشكل متواتر .

ومستوى أدنى للتعامل مع المواطنين الآخرين الذين يفترض ألا يجرى وضعهم في مركز اجتماعي منفصل .

وكان هذا شاهداً على أن تحرير الشعب اليهودى فى القرن التاسع عشر بعد الميلاد كان إجراء جذرياً كافياً لأن يعرى طبيعة اليهود الغربيين لأول مرة فى التاريخ ، كما أنه خير محك صالح لأن يكشف علاقاتهم بجيرانهم المسيحيين ويعرضها لتأثير الأفكار الغربية السائرة والمثل الموجودة .

وفى هذه الأثناء ولدت الصهيونية . . .

فكانت بشهادة تيودور هرتزل نفسه شاهداً على القلق فى نفوس يهود الغرب فى القرن التاسع عشر خشية أن تصهرهم بوتقة « الامتصاص الفردى » ، وقد استيقظ اليهود بفعل اشتداد موجة القومية الغربية الحديثة التى أخذت تسير سيراً ملحاً فى أعقاب الليبرالية السابقة ، وبفعل قضية دريفوس (١٨٨٤ - ١٩٠٦) التى خضعت لموجتها فرنسا الليبرالية ساعة إذلالها وتردى معنوياتها بعد هزيمتها المنكرة عام ١٨٧٠ ، فكانت أعرق أثراً وأشد خطراً . وكان منظر المظاهرات المعادية لليهود فى باريس فى نفس الوقت الذى كانت فيه المعركة متأججة حول قضية دريفوس هو الذى حول الصحافى اليهودى النمساوى « هرتزل » من داعية قوى من دعاة اندماج اليهود مع مواطنيهم إلى كونه رسولا مبشراً للصهيونية ، وأصبحت آمال تلك الطبقة الجديدة ومطامحها مشتقة من العهد القديم ومن سفر الخروج (١) .

بنو إسرائيل وجيرانهم :

يؤمن الإسرائيليون بما توحىه إليهم توراتهم من السلوك الوحشى بين الأمم وممارستهم للحروب فيعلن يشوع خليفة موسى أن الله يأمر

(١) أى خروج اليهود من مصر إلى فلسطين وكذلك خروجهم من مرحلة ما بعد «الليبرالية وعودتهم إلى ما قبلها» .

إسرائيل بما نصه : « حرّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة ، وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والخير بحد السيف .. وأحرقوا المدينة (١) بالنار مع كل ما بها . إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب ، (٢) .

وبهذه الروح الهمجية دخل اليهود أرض فلسطين بقيادة يشوع بن نون بعد وفاة نبيهم موسى ، واضعين نصب أعينهم إبادة السكان الأصليين بلا شفقة ولا رحمة ، ودون أى تمييز بين المحاربين وغير المحاربين من النساء والأطفال والشيوخ .

وبهذه الروح الهمجية عاش بنو إسرائيل منذ العصور الأولى الموعلة في القدم مع جيرانهم تراودهم أحلام « الجنس المختار » ، ومن هذه الأحلام يتلذذون بإذلال الناس واستعبادهم ويزعمون أن التوراة توصيهم بهذا : « حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح . فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك . وإن لم تسألك بل عملت معك حرباً فحاصرها . وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف » (٣) .

وتاريخ اليهود القديم الدامى في فلسطين العربية تاريخ أسود مفعم بالقتل والذبح والنهب والسلب والثورات والبطش والإرهاب والغدر . ويشهد التاريخ والدول التي استولت على فلسطين بوحشية هؤلاء القوم : الآشوريون والبابليون والفراعنة من قبلهم والفارسيون والرومانيون والمسلمون .

(١) مدينة أريحا .

(٢) يشوع ٦ : ٢١ ، ٢٤ .

(٣) تثنية ٢٠ : ١٠ — ١٣ .

ويدر أن الله سبحانه وتعالى الذى منحهم الفرصة وأنقذهم من طغيان فرعون ، قد عاد وصب عليهم غضبه وسخطه ، بعد أن كفروا وخالفوا شريعة موسى وأبوا أن يحيا كبقية شعوب الأرض بأمان ووئام وتعاون لخير البشرية ، فعادت أحقادهم وأخلاقهم الذميمة وطغيانهم بالويل والخراب والدمار ، وساط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب ويبادلهم طغياننا بطغيان ، وذبحا بذبح وإفناء بإفناء ، وداسهم الأمام والشعوب تحت أقدامها طوال فترات التاريخ ، ومع كل ذلك لم يغيروا ما بأنفسهم من كيد وحقد وتعصب وغرور وهمجية .

بنو إسرائيل والإسلام :

عاش اليهود فى شبه الجزيرة العربية بعد أن وصلوا إليها نتيجة تشردهم وخاصة بعد خراب الهيكل على يد الإمبراطور الرومانى تيطس سنة ٧٠ م .

وحين بعث الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم محمداً عليه الصلاة والسلام وحمله رسالة الإسلام تحقيقاً لنبوءة موسى عليه السلام : « أقيم لهم نبياً من وسط إخوانهم مثلك وأجعل كلامى فى فمهم فيكلمهم بكل ما أوصيه به » ، (١) وإتماماً لنبوءة المسيح عنه : « وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية » ، (٢) .

لما جاء سيد الرسل وخاتم النبيين ناصبه اليهود العداء وحاربوا دعوته . ونشب الصراع بين اليهود والمسلمين منذ هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة واتخذها مركزاً لنشر الدعوة إلى توحيد الله وعبادته .

(١) تثنية ١٨ : ١٨ .

(٢) يوحنا ١٦ : ١٣ .

ورأى اليهود أن الدين الجديد قد أصبح منافساً يوشك أن يقتضى على نفوذهم وينتزع منهم الرعامة الدينية التي كانوا يدعونها ، وأدركوا ما سبق أن تلبأ به المسيح من قوله : « أما قرأتم قط في الكتب : الحجر الذي رفضه البنّاءون هو قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا . لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره ، (١) ، « ففكروا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ونظروا إليه وإلى دينه الجديد وإلى أتباعه نظرة الحسد والحقد والضعينة والبغضاء وظهرت عداوتهم لدين الإسلام واضحة جلية حينما رأوا الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، فأخذوا يكيدون للإسلام والمسلمين بالدس والإرجاف ثم بالمرء والجدل فيما يعلمون وفيما لا يعلمون وإذا سئلوا عن شيء في كتبهم حرفوا الكلم عن مواضعه ولبسوا الحق بالباطل ليكسبوا عطف المشركين بالغضب من شأن الإسلام ونبي الإسلام ، لا لسبب سوى كراهيتهم للرسول عليه الصلاة والسلام لما اختصه الله به من الرسالة ، (٢) ، وقد نعى الله عليهم ذلك بقوله : « بلئسا اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين » (٣) .

ولقد ناصر اليهود كفار قريش المشركين عبدة الأصنام وأيدوهم في عبادة الأوثان ، وأكدوا لهم أنها أفضل من الدين الإسلامى الذى يقول : « لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله » ، ويقوم على التوحيد وعبادة رب العالمين .

ولم يتوان اليهود عن السعى في دين الله معاجزين لى يفتنوا الناس

(١) متى ٢١ : ٤٢ ، ٤٣ .

(٢) اليهود وفلسطين للأستاذ الشيخ صبرى عابدين — القاهرة ١٣٥٧ هـ ١٩٣٦ م .

(٣) البقرة : ٩٠ .

عن دينهم ، ويوهنوا عقائدهم بالشبه الزائفة والباطيل المختلفة ، وفي ذلك يقول الله تعالى :

« ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً ، حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق » (١) .

ولما رأى اليهود جماعة المسلمين تتكاثر ، والإسلام ينتشر ، ويفتح الله قلوب الناس لقبوله ، ايقنوا أن لاسبيل للمحافظة على كبريائهم وزعمهم أنهم شعب الله المختار وضمن مصالحهم وسيطرتهم على مقدرات البلاد المادية والمعنوية ، إلا بالقضاء على محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه واجتثاث آثار دينه من أصولها ، فأخذوا يكيدون للإسلام والمسلمين بكافة الطرق ومختلف الوسائل ، وينتهزون الفرص لمحاولة قتل الرسول الكريم كما حدث له مع يهود خيبر يوم أن أعدوا له ولبيته تكريم « شاة مسمومة » .

ولقد هادنهم عليه الصلاة والسلام في بادئ الأمر ووادعهم وأبرم معهم العهود ، فما لبثوا أن خافوها ونكشوها ، كما حدث مع يهود بنى قريظة الذين تعاونوا مع كفار قريش ، وألجأوا عليه وعلى صحابته من المسلمين سائر العرب من كفار قريش وشمال الحجاز ، ومالئوا الأعداء وحزبوا الأحزاب ضد المسلمين لاستئصال شأفتهم وإبادتهم ، وكما حدث مع يهود بنى النضير وتآمرهم على المصطفى صلى الله عليه وسلم . ولكن الله تعالى أحبط سعيهم ونصر رسوله الكريم وأيد دينه الجديد ، وأنزل على قلب المصطفى آيات كثيرة مشيرة إلى كفر اليهود وأحقادهم وجرائمهم منها قوله تعالى : « إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم ، أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين » (٢) .

(١) البقرة : ١٠٩ .

(٢) آل عمران : ٢٢ .

ولما كان الله يعلم مقدار ما يبطنه اليهود للإسلام والمسلمين من العداوة والخصام بين في كتابه العزيز بعبارة صريحة أن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ، لنعاملهم معاملة الأعداء الألداء ، فقال : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » ، (١) .

ويقول الشيخ صبرى عابدين في كتابه « اليهود وفلسطين » :

« حينما استقر الرسول العظيم في المدينة وحد كلمة العرب ، وأخى بين المهاجرين والأنصار ، وأصلح ذات بين الأوس والخزرج سكان يثرب ، واجتث من قلوبهم آثار العداوة والبغضاء فأصبحوا بنعمة الله إخوانا ، ونسوا ما كان بينهم من فتن وحروب دامت عشرات السنين . ولم يرق لليهود أن يروا الأوس والخزرج مؤتلفين لأن في اتفاقهم قوة لرسول الله وللمسلمين ، فأخذوا يثبون أسباب الفتن ويشيرون الأحقاد والضغائن ليشتتوا شملهم ويفرقوا جمعهم من جديد . واستطاعوا عن طريق شيخ من شيوخهم هو شاس بن قيس أن يثيروا بين مسلمي الأوس والخزرج الفتنة ويذكروهم بعبادة الجاهلية ، فحملوا السلاح ، ولولا خروج النبي إليهم وردهم عن غيهم وتبصيرهم بخطة اليهود ، لوقعت الحرب من جديد بين قوم هداهم الله إلى الإسلام وأبعد عنهم دعوى الجاهلية . ونزل في الأوس والخزرج الذين كادوا يصدقون ما أدخله عليهم شاس اليهودى :

« يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ! » ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ، (٢) .

(١) المائة : ٨٢ .

(٢) آل عمران : ١٠٠ — ١٠١ .

الحرب بين الرسول صلى الله عليه وسلم واليهود :

ولم يكتف اليهود بالمقاومة السلبية للدين الإسلامي ، ولم يكفهم الدس والنفاق والفتن يثيرونها بين المسلمين ، بل أخذوا يقفون إلى جانب كفار قريش معانين عداهم الصريح للإسلام ولنبي الإسلام .

وكان أول احتكاك إيجابى بين المسلمين واليهود ما وقع مع بنى قينقاع فى المدينة نفسها ، فقد حدث أن جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سوق بنى قينقاع وخطبهم قائلا : « يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة ، وأسلوا . فإنكم قد عرفتم أنى نبي مرسل ، تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم ، قالوا : يا محمد ، إنك ترى أنا قومك ! لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لئن حاربناك لتعلن أننا نحن الناس ، (١) .

فأمهلهم الرسول الكريم إلى أن نقضوا العهد وتعرضوا لسيدة مسلمة كانت تمر بسوق بنى قينقاع وجلست إلى صائغ منهم ، فعمد إلى ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سواؤها فضحكوا بها فصاحت . فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وتجمع اليهود على المسلم فقتلوه . وكانت الشرارة التى حملت الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم على محاصرتهم خمس عشرة ليلة . وحينما استسلموا شفع فيهم عبد الله بن أبى بن سلول ، واكتفى الرسول بإجلائهم عن المدينة .

وطلب المسلمون من اليهود الجلاء إلا من كان عده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهكذا تم تطهير الجزيرة العربية من اليهود الذين كانوا شوكة فى حلق الإسلام أول عهده .

اليهود والقرآن الكريم :

١ - سجل عليهم القرآن الكريم كفرهم بالأنبياء والرسل وقتلهم الأنبياء بغير حق :

« ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ١١ ، (١) .

« لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ، (٢) .

٢ - سبحان الله العالم بحقيقة هذا الفريق من خلقه ، في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم . لقد كتب الله على اليهود الذلة والمسكنة إلى يوم الدين . لقد أخزاهم الله تعالى بشر أعمالهم ، ومهما حارلوا أن يتظاهروا بالقوة والمنعة فإن كلمة الله هي العليا ، والقرآن الكريم يسجل إرادة الله وحكم السماء :

« ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، (٣) .

إسرائيل والدول الأوربية :

لم تسكد الحرب العالمية الأولى تضع أوزارها حتى أحس المتأملون في أحوال الأمم هبوب ريح معاداة ومناوأة لليهود في معظم الأقطار ، وقد

(١) البقرة : ٨٧ .

(٢) المائدة : ٧٠ .

(٣) آل عمران : ١١٢ .

أخذت هذه الريح تشتد رويدا رويدا حتى عمت القارة الأوروبية بأكملها ، بل تعدتها إلى أمريكا . وكان المظنون أنها أبعد من سواها عن التعصبات الجنسية والدينية .

ولقد كثرت وقتئذ الحوادث الدالة على اتجاه هذا التيار العاطفي ولا سيما في أقطار أوروبا الشرقية حيث يكثُر العنصر اليهودي ، فمن هذا القبيل ما ذكرته الصحف وقتئذ عن مقتل رئيس جمهورية بولونيا ، ومنه هياج الطلبة في رومانيا ومطالبتهم بتحديد عدد اليهود الذين يؤذن لهم بتلقي العلوم في الجامعات الرومانية . وقد حصل مثل ذلك في الجامعات الأمريكية الكبرى ، فإنها شرعت تقيم العقوبات في سبيل طالبي دخولها من اليهود ، بل إن قانون تحديد المهاجرة المسمون منذ بضع سنوات إنما كان غرضه الأول إقامة سدود سبل المهاجرين من شرقي أوروبا ، حتى في إنجلترا التي كانت تعد أصدق صديقة لليهود بتنا نرى دلائل عديدة على هذا العداء . وقد حمل جانب من الصحف الإنكليزية أخيراً حملات عنيفة على سيطرة اليهود في فلسطين وأحلامهم في خلق دولة باغتصاب أرض فلسطين بغير حق تاريخي أو سند قانوني .

وليست هذه أول مرة يتخرج فيها مركز اليهود ، فقد عرفوا صنوف الاضطهاد والمناوأة منذ أقدم الأزمنة . ولكن في التاريخ قرات ظهرت فيها هذه المناوأة على أشدها .

ولعل هذا الاضطهاد الذي عاناه بنو إسرائيل على مر التاريخ هو الذي دفع هرتزل أن يقرر حقيقة حتمية مصيرية لشعب اليهود بقوله : « من السخافة أن ننكر وجود مشكلة يهودية ، فإنها موجودة حيثما توجد جماعة من اليهود ، وإذا لم توجد في جهة لا يلبث أن يحملها إليها المهاجرون . إننا نهاجر إلى الجهات التي لا نضطهد فيها ولكن ظهورنا فيها يحمل على اضطهادنا ، » .

ويقول برنار لازار وهو من أوثق الباحثين في علم الاجتماع :
« يتراءى لى أن شعوراً عاماً كالمناوأة لليهود ظهر في كل مكان وكل زمان
قبل المسيح وبعده ، في الإسكندرية ورومية وأنطاكية وبلاد العرب
وفارس وفي أوروبا القرون الوسطى وأوروبا الحديثة ، أى بالاختصار في كل
قطر قطنه اليهود ، يتراءى لى أن شعوراً هذا انتشاره لا يمكن أن يكون
طارئاً عرضياً أو نزوعاً وقتياً بل يجب أن يرجع إلى أسباب جدية
وأصول بعيدة . »

ولقد صدق هذا الكاتب فيما ذكر . فإن لروح المناوأة التي وصفناها
فيما تقدم سبباً يعود إلى مزاج اليهود الروحي وعقيدتهم الدينية ومذهبهم
الاجتماعي ، وهو أنهم لم يكونوا قابلين للاندماج في الشعوب التي حلوا
بيدها ، فإن شخصيتهم الجنسية ما برحت تزداد بروزاً مع الأيام حتى أصبح
من أهم ميزات الشعب اليهودي تماسكه وتجانسه واعتداده بذاته وازدراؤه
بسواه .

ولا بد لنا قبل خوض هذا البحث الدقيق أن نؤكد أن نظرنا إلى مشكلة
المسألة مجردة عن كل هوى ، فإن كراهية اليهود في كثير من الأقطار
حقيقة واقعة لا سبيل إلى إنكارها . وكل ما كان من قبيل الحقائق الراهنة
جدير بعناية الباحث ، لاسيما إذا كان ذا أثر في الحياة الاجتماعية ، شأن
العاطفة التي كان من نتائجها نشر الدعوة الصهيونية وإنشاء الوطن اليهودي
في فلسطين .

أما الأسباب الظاهرة فهي :

يتم اليهود في كل زمان ومكان بتهمتين متناقضتين لكنهما متلازمتان
تلازم الليل والنهار ، والظل والحقيقة وهما :

التهمة الأولى : أنهم زعماء الحركات الثورية والانتقاضية ، وإلهم ينسب قسطنطين كبير من الفوضى المنتشرة في كل جهة . فمنهم رؤساء الأحزاب الاشتراكية المتطرفة ومنهم أركان النظام البلشفيكي وناشرو دعوته في العالم . وقد أتى وقت كانت فيه روسيا وما جاورها أشد أعداء اليهود وقد أذاقتهم الذل والمصادرة والطرده ، لما اقترفوه من قسوة في معاملاتهم مع سكان أوروبا الشرقية ، وهي معاملات مالية واقتصادية .. ولما خلقوه من أسباب الفوضى والاضطرابات في تلك البلاد .. وكان لا بد لليهود من الانتقام لما أصابهم من محن اضطرت الكثيرين إلى الهجرة من شرق أوروبا ، واتخذوا لذلك سبلا شتى : منها قيام كارل ماركس اليهودى الألمانى بلشهر نظرياته المعروفة في حرب الطبقات وفي وضع مبادئ الشيوعية ، وقد اعتنقها كثير من الروس اليهود وغير اليهود ، ومن هؤلاء لينين زعيم روسيا الأكبر وكان متزوجا يهودية .. وتروتسكى الزعيم الجهنمى للشيوعية وهو يهودى لحما ودما - وكثير غيرهما - قاموا بالثورة الروسية الكبرى سنة ١٩١٧ ، وباغتيال القيصر والأمراء سنة ١٩١٨ ، كما فتكوا برجال الدين وألغوا الدين المسيحى نفسه .

وكما أن د لينين ، زعيم الشيوعية في روسيا كان زوجا يهودية ، فإن تروتسكى وراديك وزينوفيف وثلاثة أرباع قوميسارى الروس كانوا يهوداً (١) .

(١) ١ - كتاب قرارات حكماء صهيون بالفرنسية طبعة برنار جرسية .

ب - كتاب الخطر اليهودى بالعربية للسيد خليفة التونسى .

ج - كتاب المؤامرة اليهودية على الشعوب العربية ترجمة الحورى أنطون .

د - كتاب الصهيونية والماسونية للسيد عبد الرحمن سائى عصمت .

وفي أيام الثورة الأولى استولى اليهود على السلطة وانتقموا من الشعب الروسي وقتلوا ملايين الأبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال . وكانت نسبة اليهود في المكتب السياسي عند قيام الثورة كالآتي :

Lenin	؟	لينين
	متزوج من يهودية	ستالين
Uritski	يهودي	أورتسكي
	يهودي	كامينيف
Skolnikov	يهودي	سوكولنسكوف
	يهودي	زينوفيف
	روسي	ينوف

وفي مجلس إدارة الحرب والثورة كانت نسبة اليهود كما يلي (١) :

Trotsky	يهودي	تروتسكي
Joffe	يهودي	جوف
Lenin	؟	لينين
Bokig	قفقاسي	بوكيج
Podwoiski	روسي	بودوسكي
Molotov	متزوج من يهودية	مولوتوف
Newski	روسي	نيوسكي
Unschlicht	يهودي	انتشليخت
Sverdlov	يهودي	سفيرديلوف
Uritski	يهودي	أورتسكي
Antonov	روسي	أنتونوف

Mechonosenin	روسی	میکونسنین
Gussev	یهودی	جوسیف
Ermejev	روسی	آرمیجیف
Djerjinski	بولندی	جیرجنسکی
Dybenko	أوكرانی	دینیکو
Raskolnikov	روسی	راسکولنکوف

التهمة الثانية : أنهم ملوك الصيرفة والمال يسيطرون على أسعار الأشياء وعلى قلب العملة والأوراق المالية ويجنون الأرباح الطائلة والثروات العظيمة في حين يعم الضيق والفقر سواد الناس .

واليهود البارعون في جمع المال واكتنازه واستثماره صاروا في الولايات المتحدة منذ أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من هذا القرن ملوك المال ، استولوا بخططهم اليهودية الماكرة على مصادر الذهب والمعادن والبترول ، استولوا على الشركات التجارية والصناعية والزراعية واستولوا على البنوك والبورصة المالية ، استولوا على أسواق التأمين ومخازن الحبوب وخاصة القمح ، استولوا على مدينة السينا « هوليود » وأداروا صناعة السينما حسب الخطة المرسومة في بروتوكولات حكماء صهيون ، استولوا على المسارح والملاهي ، استولوا على الصحافة ودور النشر والإذاعة والتليفزيون ، وأخطر من هذا كله استولوا على رؤساء الجمهورية الأمريكية والبيت الأبيض ودوائر الحكومة وهيئة الأمم المتحدة بنيويورك .

ويبدو أن هناك ملائمة وثيقة الصلة بين إثارة القلاقل والحروب وانتفاع أرباب الصيرفة والمضاربة . وتتوثق الملائمة بين السيين لما اشتهر به اليهود من سبقهم لإذاعة الأنباء والأخبار وهذا ما يتييسر لهم لغنايتهم

بالاستعلام وجمع الأخبار ولما بينهم من الصلات الوثيقة والروابط المتينة على ما يفصلهم من المسافات (١).

والأمر الذي تجدر ملاحظته هنا هو أن الطائفتين تعملان في خارج الحيز الوطنى ، فإن مراميها دولية لا قومية ، فمن جهة ، يجاهر أرباب الاشتراكية والشيوعية بأن غرضهم إزالة الفوارق بين الأمم ، واتحاد العمال من كل الدول لمناهضة أصحاب الثروة والسلطة . فهم بذلك يعملون على إضعاف الرابطة الوطنية والجامعة القومية . ومن الجهة الأخرى يقوم أرباب الصيرفة والمال بأعمالهم فى جهات مختلفة ومصالحهم مشتتة فى بلدان متعددة وهم قلما يشتركون فى حياة الأمة الإحساسية إذ تهمهم حياتها الاقتصادية فقط . وقد قيل إن اليهودى حتى فى حالة انضمامه إلى وطن من الأوطان يختلف نظره إلى ذلك الوطن عن نظر بنى الأصليين ، فإن وطنه اقتصادى ووطنيته كذلك اقتصادية ، بخلاف وطن هؤلاء ووطنيتهم المستقرة فى أعماق نفوسهم .

من ذلك كانت أغراض الطائفتين مضادة لتيار « القوميات » الذى اشتد بعد الحرب ، ولذلك كانت الحركات القومية تعمل على تنقية الأمم من العناصر الغريبة التى لم تندمج فيها .

وهذا شأن اليهود فى كثير من الجهات فإنهم يعدون من عوامل الانحلال القومى ومن ثم ما يوجه إليهم من العداوة والمنافاة .

وإن ما امتاز به اليهود من هذين الأمرين : الثورة والإثراء كان بفعل

(١) كان لليهود منذ قديم الزمن عناية عظيمة بالاستعلام وقد أنشأوا مصالح خصيصاً لهذا الغرض . وقد قيل إن سر الإثراء المالى السبق إلى المعلومات الصحيحة . ومن يراجع تاريخ الثروات التى جمعتها بعض الأسر اليهودية المشهورة - كأسرة روتشيلد مثلاً - يرى أن منشأها كان الحصول على معلومات سياسية أو حرية ذات شأن والاستفادة منها قبل انتشارها بين الجمهور .

الأحوال الخاصة التي اكتشفت تاريخهم ، فإن ما نالهم من الضغط والاضطهاد فيما مضى جعل في قرارة نفوسهم نزوعاً إلى قلب النظام الحاضر وانتقاصاً على السلطات التي نأواً عنهم . أما الملايون منهم فقد كسبوا ما كسبوا بمهارتهم وحذقهم في أساليب التجارة ، وصدق نظرهم في الشؤون الاقتصادية وحيازتهم المعلومات الصحيحة والأخبار الصادقة ، فلا لوم عليهم ولا تثريب .

أما السبب الحقيقي فهو :

يعزى تقدم اليهود في الزمن الحديث إلى انتشار مبادئ الثورة الفرنسية في القارة الأوروبية . فقد استفادوا من المساواة الاجتماعية وأصبح لهم نفوذ وسيطرة ، ولا سيما إذا اعتبرنا قلة عددهم بالنسبة إلى سائر الشعوب . فهذا التفوق بعد المذلة والمسكنة فيما مضى من الأزمان ، هو من أسباب تسيدهم كأرباب المال والتجارة ، وإن المساواة الاجتماعية تهدم أنواع السيادة القائمة على اعتبارات سياسية أو جنسية أو نسبية أو غير ذلك ولا تبقى إلا سيادة الثروة ، أي حكم الذهب وتحكمه . وهذا بلاريب من أسباب تلك الكراهية التي نشاهد أثرها في كل مكان .

بالإضافة إلى هذا أنهم عاشوا في عزلة في مجتمع عرف بالغيتو ، وقد نجم عن هذه العزلة أنهم اكتسبوا صفات جسمانية ومعنوية خاصة بهم ، وأنهم امتازوا بحدة الذهن وحسن التدبير وبعد النظر والاحتياط للطوارئ ، وأنهم نزعوا إلى الديمقراطية وحب المساواة . ثم إن اليهودي عموماً كان محروماً من دخول الجيش والبحرية والنقابات الصناعية والتجارية ، فأصبح بطبيعة الحال وسيطاً — أي تاجراً — وتمرن على طرق المعاملة وترقب السوق والاستفادة من الفرص ، ولا سيما أن الكنيسة كانت تحرم الربا ، فاتخذ الاتجار بالمال ، عملاً له وبرع فيه أيما براعة .

فلما جاء القرن الماضى وأعلن فيه تحرير اليهود فى معظم الدول الأوروبية وألغيت القيود التى كانوا بها مقيدى لم يلبثوا أن اغتتموا هذه الفرصة السانحة واستخدموا الصفات التى اكتسبوها على مر السنين وبذا بلغوا المقام الرفيع الذى يتبوءونه فى تلك البلاد .

فترى من ذلك أن كراهية اليهود لا ترجع إلى التعصب الدينى ، وإن يكن له فيها نصيب ، ولا هى ترجع إلى التعصب الجسمى (١) ، وقد يكون له نصيب أيضاً ، بل ترجع إلى الأحوال الاجتماعية التى نجمت عن تحرر اليهود فى القرن التاسع عشر .

وإذا قابلنا الشعب اليهودى بسائر الشعوب القديمة وجدناه فى مؤخرتها علما وفنا وحضارة . فأثاره ضئيلة بجانب آثارها . على أنه كان يحمل فى صدره عاطفة دينية عظيمة الشأن وهى الإيمان بإله واحد هو إله الإسرائيليين الشعب المختار دون الشعوب . فهذا الإيمان الشديد هو الذى أبقى الشعب اليهودى حيا مميذا واضح الصفات والأخلاق رغم صروف الزمان وتقلبات الأيام ومن ثم نفهم كنهه العصبية اليهودية ، فإنها دينية فى المقام الأول .

قال سينيوزا اليهودى وهو من أكبر فلاسفة التاريخ : « لم يكن حب اليهود لوطنهم حبا بسيطا بل كان أشبه شىء بالورع . فهذا الورع — مع ما وافقه من الاحتقار للشعوب الأخرى — كان ينمو يوما فيوما مع ممارسة اليهود لديانتهم حق أصبح متأصلا فى نفوسهم » .

اضطهاد اليهود كان العامل الأساسى لميلاد الصهيونية :

إن الفكرة الصهيونية وليدة الكراهية التى ما برحت تظهرها الشعوب الأوروبية . وليان الاتصال بين النزعتين نستشهد بالتاريخ : فى سنة ١٨٨٢

(١) تسمى نزعة المناوأة لليهود عند الغربيين Antisemitism أى معاداة الساميين ، وحين أنها موجهة إلى اليهود دون غيرهم من الشعوب السامية .

خطت الفكرة الصهيونية الخطوة الأولى في حيز التنفيذ ، وفي سنة ١٨٩٧م عقد أول مؤتمر صهيوني وضعت فيه خطط هذا المشروع .

فالسنة الأولى كانت ابتداء الاضطهاد العظيم الذى أصاب اليهود فى روسيا ، وفى السنة الثانية ابتدأت قضية دريفوس الشهيرة التى تجلى فيها العداء لليهود بأشد صورته .

فالحركة الصهيونية إذن هى من قبيل رد الفعل ، وغايتها حل المشكلة

اليهودية بإيجاد وطن لهم ، وليس من شأننا فى هذا المقام سرد تاريخ هذه الحركة منذ نشأتها وبيان ما تقلبت فيه من الأدوار ، وإنما نكتفى بقولنا : إن الدعوة الصهيونية ترجع إلى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وهى كما يزعمون تستند إلى آيات من التوراة فيها إشارة إلى عودة اليهود إلى وطنهم ودولتهم وهيكلهم « هيكل سليمان » الذى ما برحوا يندبونه منذ تفرقهم . وقد قوى هذه الدعوة انتشارا النزعات « القومية » فى أوروبا ، وبشر الصهيوينيون بإنشاء دولة يهودية يستقر فيها الشعب اليهودى التائه . على أن الروح الدينية ما برحت هى الباعث الأول والدافع الأكبر .

فالصهيونية بهذه الاعتبارات وكما وصفها أحد الكتاب « مذهب دينى فى لباس وطنى » .

التآمر الإمبريالى الصهيونى على الشرق الأوسط :

وقد ظل الصهيوينيون يعملون بطرق غير رسمية إلى أن كانت الحرب ، فاتفقت مصلحة الإنجليز ومصلحة الصهيوينيين ونجم عن هذا الاتفاق وعد بلفور المشهور الذى قال عنه السيد الرئيس جمال عبد الناصر من رسالته إلى جون كنيدي رئيس جمهورية الولايات المتحدة الراحل : « لقد أعطى من لا يملك وعدا لمن لا يستحق ثم استطاع الاثنان - من لا يملك

ومن لا يستحق - بالقوة والخديعة أن يسلبها صاحب الحق الشرعى حقه فيما يملكه وفيما يستحقه . تلك هى الصورة الحقيقية لوعده بلفور الذى قطعه بريطانيا على نفسها وأعطت فيه من أرض لا تملكها عهدا بإقامة وطن يهودى ، أما مصلحة الإنجليز فرغبتهم فى تأمين قناة السويس بإنشاء دولة خاضعة لإرادتهم . وأما مصلحة الصهيونيين فالانكاء على أمة قوية كإنجلترا لتنفيذ أغراضهم ، فلما تحول ميزان القوة إلى أمريكا لم يتوانوا عن السيطرة عليها بما برعوا فيه من وسائل التأثير الدعائى والمالى ، حتى أنهم استطاعوا أن يستميلوا كبار الساسة بل سواد الجمهور الغربى والأمريكى ، إلى القضية الصهيونية . وهى فى اعتقادنا وفى اعتقاد الأحرار من الأوروبيين والأمريكيين قضية لا تحتل الامتحان المنزه عن الأغراض ، فإن بطلانها واضح ظاهر يكاد يثب إلى ذهن المتأمل فيها .. إنها باطلة من الوجهة الجنسية ومن الوجهة السياسية ومن الوجهة التاريخية ومن الوجهة الاقتصادية . وقد وصفها أحد كبار اليهود وهو المستر مورغنتو الذى كان سفيرا لأمريكا فى الآستانة بقوله إنها « أعظم تضليل ظهر فى التاريخ اليهودى » .

ويقرر السيد الرئيس جمال عبد الناصر وجهة النظر العربية فى حديث إلى تليفزيون كولومبيا بقوله : « إننا نعتقد أن حقوق عرب فلسطين لا بد أن تستعاد لأكثر من مليون عربى طردوا من بلادهم وينبغى أن يعودوا ثانية إلى أراضهم .. هذه وجهة نظرنا القائمة على الحق والعدل » .

حل المشكلة اليهودية :

يقول « أرنولد توينبى ، فى كتابه « فلسطين جريمة .. ودفاع » عن ضرورة التزام الصهيونية بالتقليد اليهودى فى الأخذ بالهدوء السياسى :

« لقد كان هنالك أمل شبه مؤكد فى ضرورة العودة لإحياء شتات يهوذا وإسرائيل المعزقة إلى وطنهم السابق فى فلسطين كقاعدة أساسية فى اليهودية الأرثوذكسية . وكانت تلك القاعدة هى التى ألهمت المشتتين

اليهود ، وجعلتهم يحتفظون بشخصيتهم المتميزة الخاصة في المجتمع ، طوال فترة تنوف على ١٧٦٢ سنة ، هذا إذا حسبنا من إخضاع ثورة « باركويه » سنة ١٣٥ م ، حتى ابتداء الحركة الصهيونية سنة ١٨٩٧ ، وكان ستون جيلا من اليهود المشردين قد ظهوروا وانقرضوا خلال هذه الفترة الطويلة من عصور التاريخ ، وظلوا جميعاً يصرون على ترك مقاليد الأمور « ليهود » القدير ، نفسه ليقوم بهذا العمل ، وظلوا يرون أن ذلك من عمله هو وبمبادرة منه لا من عمل شعبه المختار ولا بمبادرة أبنائه .

« كان هذا ما تأخذ به جميع المدارس اليهودية الأرثوذكسية حيث كانت تعتبر أن مهمة إعادة اليهود إلى فلسطين تقع على عاتق الله ، وكان هذا الرأي هو السائد عند جميع اليهود فيما بعد عهد الإمبراطور « هادريان » : الأرثوذكس منهم والمتعصبين الدينيين ، واللامباليين في الدين ، وقد عاش لهذا الرأي « حزب أغودات إسرائيل ، وأتباعه في اعتقادهم بأن أية محاولة للقيام بمجمود لإنساني بغية محاولة العودة لن تكون أكثر من تجن واعتصاب يتجاوز حدود الدين ولا يقبل به الرب » .

والواقع أنه كان في الإمكان امتصاص يهود فلسطين في أوطانهم التي هاجروا منها لو تنازلت الإمبريالية عن مطامعها الاستعمارية ، ولو تساهل اليهود في عصيتهم بإقلاعهم عن اعتزالهم ، وتكيفهم باطنا وظاهرا بمقتضى المصلحة الوطنية . وما شأنهم في ذلك إلا شأن سائر الأقليات الجنسية والدينية التي يجب أن تشترك في تكوين قوميات لا تعرف ديناً ولا جنساً غير حب الوطن .

ومع هذا فهذهات أن يخضع الغرب لهذا الرأي وهم ينساقون لإرادة إلهية حتمية ومن يضلل الله فليس له من هاد . وهكذا تخاصم المسيحيون

وتحاربوا واقتتلوا ، وبفضل الدهاء اليهودى تحالفت الشيوعية الشرقية مع الرأسمالية الغربية ، وقامت الحرب الثانية وعرض هتلر على الغرب أن يتضامن معه لدفع الخطر الشيوعى فرفض الغرب عرضه . وكانت النتيجة المحتمومة استمرار الحرب الثانية ضد المحور (ألمانيا وإيطاليا واليابان) الذى قام لمحاربة الشيوعية ثم انهزم المحور ، واليوم يندم حلفاء الغرب على ما أظهروا من ود وتحالف مع الشيوعية ، وهم يحصدون الآن ما زرعوه .

وما دام هذا البله فى السياسة المسيحيين مستمرا فسيظل العالم المسيحى مرعى خصيبا ، تعمل فيه الصهيونية ، وتنفذ مآربها التى ستنتهى لا محالة بانحلال العالم وسيادة اليهود .

ومن غريب المشاهدات التى تحير العقول أن الصهيونية ، التى كانت السبب فى ثورة روسيا على القيصرية ، وانتصار الشيوعية التى ألغت المسيحية فى تلك البلاد ونشرت الإلحاد فى ربوعها . . هذه الصهيونية هى الآن صديقة الغرب ، وفيه من أصحاب الملايين والعلماء الصهيونيين ، والفنانين والخبراء العدد الوفير . . وفيه من الوزراء والنواب وذوى النفوذ ما لا يحصره عدد . . وفيه الكثير من السكرتيرين فى هيئة الأمم المتحدة ولجانها المتعددة ، كما كانوا فى عصبة الأمم القديمة . كل هذا يوجب الدهشة والحيرة ويشعر بالخطر الجاثم على الغرب .

وأشد من هذا كله وأنكى كثرة الأساتذة اليهود فى الجامعات والمدارس فى الغرب ، واشترك العلماء اليهود فى صناعة القنابل الذرية والهيدروجينية وأسرارها .

وهم الآن على علم بدقائق هذه الصناعة ومراكزها التى كان يجب إخفاؤها على غير المسيحيين ، فأسرار هذه الصناعة التى يتوقف عليها مصير

الإنسانية أصبحت في أيديهم وفي أمانتهم . وليقل لنا رجال الغرب المسيحيون : كم من الصهيونيين أفشوا السر ؟ .. وكم من اليهود ثبتت عليهم تهمة التجسس لمصلحة الأعداء ؟

إن الصحف ووكالات الأنباء تطالعنا من وقت لآخر بأسماء الجواسيس الذين خانوا الغرب والشرق وكشفوا عن أسرار القنـابل الذرية والهيدروجينية وأسرار الخطط والاستحكامات العسكرية ، فهل بحث المتخصصون ، بين هؤلاء الجواسيس عن عدد اليهود الذين لا يبلغون سوى تحطيم العالم كما أسلفنا ، وليست الوطنية عندهم سوى دينهم وغنصرهم ؟ هل يعتقد رجال السياسة أن اليهودى الأمريكى مواطن أمريكى حقاً ؟ أو أنه يهودى قبل كل شيء ديناً وغنصرأ ؟ ١ ومثل هذا يقال عن اليهودى فى بريطانيا وفرنسا وغيرهما .

وقد قال رئيس الوكالة اليهودية بيرل لوكر الأمريكى الجنسية (١) :
« إن راية إسرائيل هى رايتنا .. ومن واجبنا أن نتألم من أجل هذه الـراية .. . وعليـنا أن ننظر إلى هذه الـراية الصهيونية التى بدأت تخفق فوق دولة إسرائيل ، وكأنها تخفق فوق رأس كل منا .. وإن كل آمالنا أن نراها تخفق فوق رأس جميع الشعب اليهودى ، وذلك بعد أن تنتهى من جمع المشتتين من اليهود ضمن هذه الدولة .. »

وفى اجتماع وزارى عقد فى ١٥ / ٧ / ١٩٤٨ قال بن غوريون رئيس حكومة إسرائيل ما يأتى : « إن أجيالنا السالفة لم تتحمل الاضطهاد والآلام لكى ترى ثمرة جهادنا التى تنحصر فى جمع ٨٠٠,٠٠٠ يهودى فقط ضمن إسرائيل .. إن واجبنا يحتم علينا أن ننقذ جميع اليهود الموجودين فى البلدان العربية والأوروبية .. »

(١) ثمن إسرائيل - الفريد ليليتال .

أشهر المراجع

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- الكتاب المقدس طبعة بيروت ١٩٣٦ .
- ٣- السيرة النبوية لابن هشام .
- ٤- فلسطين جريمة ودفاع - أرنولد توينبي .
- ٥- خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية - عبد الله التل .
- ٦- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام - الدكتور على عبد الواحد وافي .
- ٧- يقظة العالم اليهودي - إيلي ليفي أبو عسل - مصر ١٩٢٤ .
- ٨- الماسونية منشئة ملك إسرائيل - محمد علي الزغبى - بيروت ١٩٥٦ .
- ٩- The Story of Civilization; Will Durant .
- ١٠- The Key to the mystery Christian Nationalist - Missouri 1938 .
- ١١- Freemasonry - Arnold leese London 1935 .
- ١٣- Encyclopaedia Britanica 1911 .

محتويات الكتاب

صفحة	
٣	تقديم
٩	الباب الأول — منشأ التلمود
١١	الفترة من سنة ١٣٥ إلى سنة ٥٦٥
١٣	اليهود يعيدون بناء أورشليم
١٤	الفترة من ١٣٥ إلى ٣٦١
١٦	اليهود ينتشرون في الأرض
١٩	منشأ التلمود
٢١	تحليل شخصية الأحبار
٢٢	كتابة التلمود
٢٥	التلمود — المشنا — الجمارا — الهالكا — الهجدة
٢٦	الشريعة
٣٠	الحياة والشريعة
٣٣	المرأة في التلمود
٣٥	الباب الثاني — نماذج من التلمود
٣٩	نشأة اللغة العبرية
٤١	ترجمة التوراة
٤٢	السامريون واليهود
٤٣	الشريعة في أسفار اليهود وقيامها على التفرقة العنصرية وعدم وحدتها
٤٦	القصص في أسفار اليهود
٥٤	تقرير الإنجيل عن نبي إسرائيل
٥٦	نماذج من التلمود

٧٩	الباب الثالث — البروتوكول الصهيوني
٨١	الفصل الأول — الطقوس اليهودية
١٠٣	الفصل الثاني — الحكومة اليهودية العالمية
١١١	١ — الحركة الصهيونية
١٢٣	مقررات حكماء صهيون
١٣٣	٢ — الجمعيات اليهودية العالمية
١٤٥	٣ — عصبة الأمم
١٥٠	٤ — الأمم المتحدة
١٥٣	الفصل الثالث — انتفاضة الأمم والاسامية
١٨٢	أشهر المراجع

